Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

Journal of University Studies for inclusive Research
Vol.4, Issue 16 (2021), 2731-2774
USRIJ Pvt. Ltd.,

الفتح الصلاحي لبيت المقدس في وجدان مؤرخي الغرب الإسلامي

د. نوال بنت فرحان بن محمد الخالدي – جامعة الملك فيصل – الأحساء – المملكة العربية السعودية

الكلمات المفتاحية: الأندلس – المغرب –مؤرخون – صلاح الدين – بيت المقدس– الخالدي

الملخص:

تختزل فكرة البحث الحديث عن خبر فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) في وجدان مؤرخي المغرب والأندلس، وتأثير الأوضاع السياسية في كتابتهم، وموقف الموحدين الدولة الحاكمة في العدوة المغربية والأندلس من الفتح الصلاحي، خصوصًا تلك التوترات التي كانت بين الخلافة العباسية وحلفائهم الأيوبيين من جهة، والموحدين من جهة أخرى، وأثر خبر الفتح واسترداد بيت المقدس في المجتمع المغربي والأندلسي.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة

The conquest of Jerusalem in the conscience of the historians of the Islamic West

Dr. Nawal Farhan Muhammad Al-Khaldi - King Faisal University - Al-Ahsa - Kingdom of Saudi Arabia

Keywords:

Andalusia - Morocco - Historians - Salah al-Din - Jerusalem - Al-Khalidi

Abstract: The idea of modern research on the news of the conquest of Jerusalem by Salah al-Din al-Ayyubi in (583 AH / 1187 AD) is summarized in the conscience of the historians of Morocco and Andalusia, and the impact of the political situation on their writing and the position of the Almohads, the ruling state in the Moroccan enemy and Andalusia from the conquest of righteousness, especially those tensions that were between the caliphate The Abbasids and their Ayyubid allies on the one hand, and the Almohads on the other hand, and the impact of the news of the conquest and the restoration of Jerusalem on the Moroccan and Andalusian society.

أهمية الموضوع: تظهر أهمية الموضوع في تتبع مدى اهتمام مؤرخي الغرب الإسلامي بالأحداث الكبرى في المشرق وتأثرهم بها، وبيان حجم التلاحم والترابط الديني بين جناحي العالم الإسلامي، وما للظروف السياسية من تبعات فكرية على المصنفات التاريخية وكُتّابها.

أهداف الدراسة: يهدف البحث إلى استقصاء طريقة عرض مؤرخي الغرب الإسلامي لخبر فتح بيت المقدس وآرائهم الفكرية، واختلاف العصور في العبارات التي وصف بها صلاح الدين قائد الفتح، وعلاقاته مع الموحدين.

الدراسات السابقة: ومن الدراسات التي تعلقت بالبحث عمومًا:

بيت المقدس في أدب الرحلات المغربية رحلة البلوي أنموذجًا لرغد بن علي الزبون، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية –جامعة العلوم الإسلامية العالمية – الأردن –٢٠١٩م.

أوجه الشبه: يتعلق البحث بوصف رحلة البلوي إلى بيت المقدس بعد تحريره، كما هو موضوع الورقة البحثية المقدمة.

أوجه الاختلاف: أن البحث المنشور خاص برحلة البلوي فقط، ولم يتطرق إلى رحلات مغربية أو أندلسية أخرى، أو مصادر تاريخية تناولت كيفية تدوين المؤرخين للخبر كما هو موضوع الورقة البحثية المقدمة، ودراسة الجوانب السياسية المحيطة وانعكاساتها عليهم.

منهج البحث: سوف يعتمد منهج البحث على الوصف والتحليل والمقارنة؛ لفهم ظروف الحياة السياسية، ومدى تأثيرها في كتابات المؤرخين.

إجراءات البحث:

١- التعريف بمدينة القدس وتسمياتها وما تضم من مقدسات.
٢- شرح الخبر في المصادر المغربية والأندلسية وإيراده.
٣- تبيين صدى الفتح الصلاحي على الموحدين وعلاقاتهم بالأيوبيين.
٤- توثيق موقف المجتمع المغربي والأندلسي من الفتح الصلاحي.
٥- الخاتمة تذكر فيها الباحثة أهم النتائج المتوصل إليها.

المقدمة:

اقترنت قدسية مدينة القدس بالعقيدة الإسلامية منذ أن أسرى الله -جل وعلا- نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، وجعله قبلة المسلمين الأولى، وحتى بعد تحول القبلة إلى الكعبة المشرفة احتفظ المسجد الأقصى بمكانته الخاصة في نفوس المسلمين، بل في صميم عقيدتهم؛ لكونه أرض الإسراء والمعراج المعجزة التي اختص بها الله رسولنا صلى الله عليه وسلم، ووثقها المولى في كتابه الكريم قرآنًا يتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى قيام الساعة، فحظي مسرى الرسول ومهد الأديان بالمباركة الربانية، والوصاية المحمدية ألا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة، وثالثها الأقصى المبارك؛ فحسمت مسؤولية القدس الشريف ورعايته للمسلمين، وتجلى ذلك في الفتح العمري عام (١٥هـ/٦٣٦م)

لبلاد الشام، واستمرت القدس ترفل في عز المسلمين ومجدهم حتى ضعفت الخلافة العباسية عن حماية أراضيها، فتوالت عليها الملمات والنكبات، وبُلِيت الشام بغزوات الحملات الصليبية قرنين من الزمن بدءًا من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي إلى الثلث الأخير من السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي سقطت خلالها القدس أسيرة تحت براثن الصليبيين قرابة تسعين عامًا حتى قيَّض الله السلطان صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب (٥٦٧- ٥٨٩هـ/ ١١٧٤-١١٩٣م) وأعاد بيت المقدس إلى حياض المسلمين بعد موقعة حطين عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، والحدث ذائع الصيت وأشهر من نارٍ على علم، فقد تغنت به المصادر المشرقية، وأسهبت في تفاصيله، وعدَّت حطين معركة النصر الفاصلة، وأطلق عليها مفتاح الفتوح الإسلامية، وبداية النهاية للوجود الصليبي في الشام، والبحث يهدف إلى استكشاف وقع خبر استرداد بيت المقدس على أهل المغرب والأندلس، وكيف عبر مؤرخو الغرب الإسلامي عن هذا النصر لأولى القبلتين، في الوقت الذي تعاني فيه الأندلس من هجمات الممالك الإسبانية الصليبية، ومؤازرة العدوة المغربية لها في التصدي لهذا الخطر، وحسبنا عن عمق الرابطة الدينية والحضارية بين جناحي العالم الإسلامي في المشرق والمغرب ومتانتها، ولكن الساحة السياسية آنذاك كانت تشهد خلافًا وتوترًا بين الموحدين السلطة في المغرب والأندلس، وبين الخلافة العباسية التي كانت الدولة الأيوبية تدين لها بالولاء والشرعية، وبذلك انعكس صدى الأزمة بينهما على العلاقة بين الموحدين والأيوبيين، فيرمي البحث أيضًا إلى استقصاء موقف الموحدين من السلطان صلاح الدين الايوبي وانتصاره على الصليبيين وفتح القدس، واستجلاء سياق سير العلاقة بين الطرفين، وكيف أدى صلاح الدين دورًا في محاولة منه بالنأي بنفسه عن التوتر بين الموحدين والخلافة العباسية والتقرب من الموحدين والظفر بثقتهم؛ للحصول على دعمهم ضد أي حملة صليبية.

وقبل الاسترسال في استطلاع الخبر في وجدان مؤرخي الغرب الإسلامي، وما اتصل به من أحداث؛ يجدر بنا أن نبين معاني المصطلحات التي استخدموها في أثناء تأريخهم لهذا الفتح؛ كبيت المقدس، والقدس، والمسجد الأقصى، حتى يُزال اللبس القائم في بعض الأذهان بين هذه المصطلحات، ونوضح مدلولاتها.

أولًا: التعريف بالمدينة:

نستهل بالتعريف بـ (بيت المقدس) و(المسجد الأقصى) لأن استعماله غلب في المصادر المغربية والأندلسية.

بيت المقدس: أطلقت الأحاديث النبوية الشريفة العنان في ذكر مصطلح بيت المقدس، ففي حادثة الإسراء المعراج روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "**لما كذبتني قريش قمت في الحِجر فجلّى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**"([1])، وحديث آخر وردت فيه تسمية بيت المقدس؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: "**أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم عرج بي إلى السماء**"([2])، ولما سألته أم المؤمنين ميمونة –رضي الله عنها– قالت: "**أفتنا يا نبي الله في بيت المقدس**" فقال صلى الله عليه وسلم: "**أرض المحشر والمنشر...**" الحديث([3])، والأحاديث جُلها تعني ببيت المقدس (**المسجد الأقصى**)، ووردت تسميته في أحاديث صحيحة مستفيضة، منها حديث أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه– أنه ثاني مسجد وضع في الأرض قال: "**قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة...**" الحديث([4])، وفي حديثٍ متفق عليه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "**لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة**

---

[1]) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ): **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر الناصر، (دمشق: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، كتاب الإسراء والمعراج، رقم (٣٨٨٦) ،ج٥، ص ٥٢.

[2]) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ): **صحيح مسلم**، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، رقم (٢٥٩)، ج١، ص ١٤٥.

[3]) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، رقم (٢٧٦٢٦)، ج ٤٥، ص ٥٩٧؛ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٦١هـ)، **سنن ابن ماجه**، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، رقم (١٤٠٧)، ج١، ص ٤٥١.

[4]) البخاري، **الصحيح**، رقم (٣٣٦٦)، ج٤، ص ١٤٥؛ مسلم، **الصحيح**، رقم (٥٢٠)، ج ١، ص ٣٧٠.

مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"([1])، وقال عليه الصلاة والسلام: "**من أهلّ من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بعمرة وبحجة غفر له ما تقدم من ذنبه**"([2]).

يقع بيت المقدس أو المسجد الأقصى في الجهة الشرقية من المدينة، نحو القبلة، ويعود بناؤه إلى الأنبياء، وقيل: أول من وضع أساسه هو النبي داود عليه السلام، كما ضم قبة الصخرة المشرفة، وهي توجد في وسط مصطبة المسجد الأقصى، وهي قبةٌ عظيمةٌ ثمانيَّة الشكل، وفي وسط هذه القبة الصخرة المشرفة، ويوجد على طرفها آثار أقدام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وفي أسفل القبة مغارة تتسع لعدد كبير من الناس، يدخل إليها عن طريق درجٍ موصول بها، وللقبة أربعة أبواب، وفيها العديد من القباب الأخرى؛ مثل قبة السلسلة، وقبة النبي عليه الصلاة والسلام، وقبة المعراج، ويقع أسفل ركن المسجد الأقصى حائط مقدس وهو الذي ربط الرسول صلى الله عليه وسلم ناقته البراق فيه، وسمي باسمها حائط البراق([3]).

ودرج استخدام مصطلح (**القدس**) في بعض المصادر؛ وهو اسم للمدينة التي يقع فيها بيت المقدس أو المسجد الأقصى، وقد أطلقه الكنعانيون على عاصمتهم (يبوس) وذلك عندما آمن أحد ملوكهم وهو (ملكي صادق) بدعوة التوحيد التي دعاه بها إبراهيم عليه السلام، لما أقام فيها ورزق إسماعيل عليه السلام من هاجر نحو عام (١٨٠٠ ق.م)، وتبعه قومه من الكنعانيين، كان ذلك قبل استيلاء النبي داود عليه السلام بقرابة ألف عام، فتشرفت بإبراهيم ودخول داود من بعده عليهما السلام، وسكن ثلة من

---

[1]) البخاري، **الصحيح**، رقم (١١٩٧)، ج٢، ص ٦١؛ مسلم، **الصحيح**، رقم (١٣٩٧)، ج ٢، ص ١٠١٤.

[2]) ابن حنبل، **المسند**، رقم (٢٦٥٥٨)، ج٤٤، ص ١٨.

[3]) ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ): **معجم البلدان**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج٨، ص ٢٩٦-٢٩٧.

الأنبياء فيها فزادت قداسة وتعظيمًا([1])، فقد قال تعالى في كتابه الحكيم عنها على لسان موسى عليه السلام: {**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُم**}([2]).

عُد بيت المقدس أقدم مدينة سُكنت منذ العصر الحجري الأول؛ إذ أُسِّست قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، على يد العرب الكنعانيين، وهم أبناء كنعان بن حام بن نوح الذين هاجروا من جزيرتهم العربية بقيادة زعيمهم سالم اليبوسي، وبعدهم سكن فيها اليبوسيون وهم بطن من بطون العرب الكنعانيين، فسميت نسبة لهم (يبوس)، وسموها أيضًا (أورسالم)، وقيل: هو سالم إله السلام الكنعاني، وقيل: يقصد بها مدينة السلام، وهزم اليبوسيون أمام جيش داود عليه السلام حوالي عام (١٠٠٠ ق.م) فسكن اليهود بجانب اليبوسيون فيها مدة من الزمن([3])، ومن اللافت للانتباه أن كلمة (أورسالم أو أورشليم) ليست كلمة عبرية كما يجول في الأذهان، وإنما عربية سميت بها المدينة من قبل أهلها العرب قبل دخول اليهود إليها، فعرفت بيت المقدس بأسمائها الأخرى؛ مثل مدينة (يبوس) و(أورسالم) و(إيلياء)([4]).

ومدينة (القدس) تقع على فضاء من الأرض وسط جبال تحيط بها، وأرضها حجارة (مرصوفة بالأحجار) مأخوذة من الجبال التي هي عليها، وكان فيها الكثير من الأسواق والعمارات الحسنة،

---

[1]) المقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ): **البدء والتاريخ**، (بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ج٣، ص ٥٢-٥٣، ٦٣-٦٩؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون**، (بيروت: دار القلم، ١٩٨٤م) ج٢، ص ٩-١٤.

[2]) المائدة: ٢١.

[3]) فهمي توفيق مقبل، **إثبات حق العرب والمسلمين في القدس وفلسطين تاريخيًا ودينيًا ينفي ادعاء اليهود حقهم فيها**، (الإسكندرية: المكتبة المصرية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٣٣-٣٤؛ رمضان إسحاق الزيان، **روايات العهدة العمرية دراسة توثيقية، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)**، غزة، مج ١٤، العدد الثاني يونيو (٢٠٠٦م)، ص ١٧٩.

[4]) وردت تسمية بيت المقدس بـ(إيلياء) في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء**". انظر: مسلم، **الصحيح**، رقم (٥١٣)، ج ٢، ص ١٠١٥، ووردت في العهدة العمرية أيضًا. انظر: الواقدي، أبو عبد الله بن عمر (ت٢٠٧هـ): **فتوح الشام**، (عمان: مكتبة المحتسب، د.ت)، ص ٢٤١-٢٤٢؛ اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، (بيروت: د.م، ١٩٨٠ م)، ج٢، ص ٣٤٨.

وضياعها وقراها كلها جبال شامخة، وليس حولها ولا بالقرب منها أرض واطئة، والناس تزرع فيها على الجبال مستخدمين الفؤوس لا الدواب في الحرث([1]).

ثانيًا: ورود الخبر في المصادر المغربية والأندلسية:

ورد فتح بيت المقدس في المصادر المغربية والأندلسية، وسياق الخبر يركز على استرداد المسجد الأقصى وإعادته إلى المسلمين، وتباين عرض الرواية في المصادر من حيث الإيجاز والإطناب، والاقتباس من المصادر المشرقية أو التفرد عن تأثيرها وميول مؤرخيها السياسي، خصوصًا لدى المؤرخين المغاربة والأندلسيين الذين عاصروا وقائع الحدث ودونوه في كتبهم، وفي الأسطر الآتية تفصيلٌ لذلك.

يمكن تقسيم مؤرخي الغرب الإسلامي قسمين؛ الأول المعاصرون للدولة الموحدية (٥١٤-٦٧٤هـ/ ١١٢٠- ١٢٧٥م)، والثاني الذين عاشوا بعدها وأرخوا لحدث فتح بيت المقدس، كما أن القسم الأول من المؤرخين أيضًا يمكن تصنيفهم إلى فئتين؛ أولاهما كُتّاب الخلفاء الموحدين ومؤرخوهم مثل ابن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) مصنف كتاب (المن بالإمامة)، وابن القطان (ت ٦٧٠هـ/ ١٣٢٥م) مؤرخ كتاب (نظم الجمان وترتيب ما سلف من أخبار الزمان)، وعبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) صاحب كتاب (المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب)، وهؤلاء جميعهم ليسوا كُتّابًا فحسب، بل من المقربين للبلاط الموحدي، ووصفوا بمصانعة الموحدين والولاء لهم والتأثر بعقائدهم([2])، ومن الجلي أن الميول السياسية ومجاملتهم للخليفة الموحدي المنصور أبي يوسف يعقوب (٥٨٠هـ- ٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) غلبت على أقلامهم وما يسجلون، فابتعدت فيما يبدو عن التجرد من الأهواء، وهذا ما جعلهم يحجمون عن ذكر حدث عظيم في تاريخ المسلمين كاسترداد بيت المقدس من الصليبيين على يد صلاح الدين، ولعل قائلًا يقول إن سبب عدم التطرق إلى فتح القدس أن كتب

---

[1]) ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٨، ص ٢٩٦-٢٩٧.

[2]) عبد الهادي التازي، مقدمة تحقيق كتاب **المن بالإمامة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، لابن صاحب الصلاة أبي مروان عبد الملك بن محمد الباجي (ت ٥٩٤هـ)،(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م)، ص ١٢-١٨؛ عادل يحيى عبد المنعم، "**خصائص الكتابة التاريخية المشاركة عند اثنين من مؤرخي البلاد الموحدي ابن صاحب الصلاة المتوفى أواخر المائة ٦هـ/ ١٢وابن القطان المتوفى منتصف ق ٧هـ/ ١٣م** "، مجلة المؤرخ العربي، العدد الأول، المجلد الأول ٢٠٢٠م، ص ٢٥٠-٢٥٢.

هؤلاء المؤرخين خصصت لتاريخ بلاد المغرب والأندلس، لكننا وجدنا نظراء لها في المصادر المغربية والأندلسية ككتابي (الحلل الموشية) و(البيان المغرب) ذكرا الحدث بأساليب متباينة، تارة بالاستطراد، وتارة في أثناء تحليل الحوادث الأندلسية وربطها بالمشرقية، فضلًا عن ابن القطان الذي ألمح إلى أخبار في مصر والعراق ليست ذات أهمية؛ كاستبداد ابن الأفضل بالوزارة سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) ومقتله وتولية الأسقف النصراني مكانه في العصر الفاطمي(١)، فلا تصل إلى مستوى أهمية الفتح الصلاحي.

أما الفئة الثانية فتتمثل في أولئك الذين عاشوا في ظل دولة الموحدين، وامتدت حياتهم إلى الدول التي حكمت بعدها، ومن هؤلاء المؤرخين ابن عذاري (ت بعد٧١٢هـ/ ١٣١٢م) وصاحب (الحلل الموشية) اللذان أرخا للموقعة بعبارات انتقائية، فكلٌّ يمم شطره نحو مبدئه، أما القسم الثاني فيشكله مؤرخو منتصف القرن السابع الهجري/ منتصف الثالث عشر الميلادي، ومن أرخ بعدهم لبلاد الأندلس إلى سقوطها، وعاش بعضهم بعد سقوط الدولة الموحدية، وشهدوا عصورًا مختلفةً عن عصرها في المغرب والأندلس؛ كالرحالة الأندلسيين وابن خلدون وابن الخطيب.

وما دام القسم الأول من مؤرخي الموحدين –كما أشرنا إلى شأنهم– فيكون الاستقراء لكتب القسم الثاني من المؤرخين، وفي مقدمتهم ابن عذاري (ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م) الذي ألمح في مصنفه (البيان المغرب) لمحة سريعة إلى استرداد بيت المقدس وإعادته إلى المسلمين على يد صلاح الدين الأيوبي، ورغم أنها –كما أسلفنا– لمحة سريعة لكنها لم تخلُ من مضامين اعتزازه بنصر المسلمين على الصليبيين، جاء ذلك في أثناء حديثه عن تغلب (ابن الرنك الإسباني) على قاعدة شلب (٢) في الأندلس عام (٥٨٥هـ/١١٨٩م) وإخراجه أهلها منها بعد سنتين من موقعة حطين – قبل أن يتكمن الأمير الموحدي المنصور من فتحها مرة أخرى وإعادتها إلى المسلمين–، فقد وافق آنذاك وصول عدد من القراقير

---

١) ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (ت٦٧٠هـ): **نظم وترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمود مكي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م)، ص ٢١٧-٢٢١.

٢) شلب: مدينة في الجنوب الغربي تطل على جبل عظيم، اشتهرت بالجنات والغلات والوديان، عرفت بزراعة التفاح، كانت من أهم مدن الأندلس، استولى عليها المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية زمن ممالك الطوائف وولى عليها ابنه المعتمد، ومن أعلامها الشاعر أبو بكر بن عمار. انظر: الحميري، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ): **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ص ٣٤٢.

الرومية([1]) مجتازين إلى بيت المقدس منذ فتحها من أهل ملتهم في الشام، فيأتون إلى بلاد المسلمين على عادتهم كل سنة حتى يزيلوا عن أعناقهم بزعمهم عار الهزيمة، ويوفوا بعهودٍ قطعوها على أنفسهم أمام رهبانهم على حد تعبير ابن عذاري، وفي المغرب الإسلامي لم يجد ابن الرنك إلا مدينة شلب في الأندلس فاستولى عليها، وأشرف أهلها على الموت بسبب الجوع والظمأ بعدما واجهوا شدة الحصار للانتقام من نصر المسلمين شرقًا في حطين ([2]).

وتبين من استقراء مؤرخنا أمران؛ الأول أن ابن عذاري لم يصرح باسم صلاح الدين الأيوبي أو يثني عليه، لكن ذلك لم يمنعه من الإشارة إلى قوته في استرجاعه القدس في عبارات تشي بذلك؛ كقوله: (مذ انتزاع بيت المقدس من أهل ديانتهم بحد الحسام) والانتزاع في اللغة هو أخذ الشيء بالقوة([3])، والثاني أنه ظهر لابن عذاري رؤية سعى من خلالها لتجسد عمق الصلات الدينية بين المشرق والمغرب، وهذا ما اقتضى اقتسامهم للعدوان والأخطار، فافترض بأن هزيمة الصليبيين في الشام سبب لانتقامهم من الأندلس واستغلالهم لأحوالها السياسية والعسكرية ([4])، وثمة ملحوظة على تحليل ابن عذاري أنه من قلائل المؤرخين المشارقة والمغاربة الذي ربطوا بين الوقائع التاريخية في الأقاليم الإسلامية المختلفة؛ كالفتح الصلاحي من جهة وحادثة ابن الرنك أو غيرها من الاعتداءات النصرانية الإسبانية على الأندلس

---

[1]) القراقيز أو (القراقير): وهي السفن العظيمة أو الطويلة، ومفردها قرقور، مادة (قرر). انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): **لسان العرب** ، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج ٥، ص ٩٠.

[2]) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ) **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، ج٣، ص ٣٠٤.

[3]) نزع الشيء أي اقتلعه، وانتزع الرمح اقتلعه، وتأتي على نحو الاستلاب كما ذكر سيبويه، وقيل في تفسير قوله تعالى: {والنازعات غرقا}: إن الملائكة تنزع روح الكافر فيشتد عليه أمر خروج روحه. مادة (نزع) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٨، ص ٣٥٠-٣٥١.

[4]) استغل النصارى الظروف السياسية والعسكرية المضطربة، فقد كان الخليفة الموحدي بعيدًا في المغرب تشغله أحداث إفريقية والصراع مع بني غانية، ومؤامرات الخوارج، وهذا ما تعذر معه أن يبعث جندًا إلى الأندلس، وكانت القوات الموحدية في الأندلس قليلة العدد والعُدد، ولا تكفي لدفع العدوان من مملكة قشتالة أو مملكة البرتغال. للاستزادة انظر: محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ج٤، ١٦٨-١٧٢).

من جهة أخرى؛ كتحرك الصليبيين أو من كان على ملتهم في أوروبا صوب الأندلس والمغرب للانتقام من أهلها.

ومورد ابن عذاري في حادثة ابن الرنك هو كتاب (تاريخ الموحدين) للكاتب الموحدي أبي الحجاج يوسف بن عمر([1])، أما عن مصدره لخبر فتح بيت المقدس فلم يعرف؛ لأن كتاب ابن عمر مفقود، ولم يوجد منه إلا روايات مبثوثة في المصادر التي استقت منه، جمعها أحد الباحثين ولم نعثر من بينها على روايات أو نصوص لمعركة حطين وفتح بيت المقدس([2])، ولا يعرف هل استطرد بخبر فتح بيت المقدس وعلى غراره سار ابن عذاري، أم أن الأخير هو الذي عمد إلى تطعيم أسلوبه بالاستطراد بقصد التطرق لفتح بيت المقدس وأنه لم يكن استطرادًا عفو الخاطر؟ كما أننا لا نعتقد أن أبا الحجاج أورد الخبر البتة؛ لأنه معدود من مؤرخي خلفاء الموحدين المقربين منهم([3]) والذين أحجم كثير منهم عن ذكر الخبر كما أشرنا آنفًا.

وشاطر مؤلف (الحلل الموشية) منهج ابن عذاري بذكر الخبر مستطردًا أيضًا، ففي معرض حديثه عن الجواز الرابع للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (٥٣٧-٥٠٠هـ/ ١٠٨٣-١١٤٣م) إلى الأندلس عرج إلى عهد الخليفة العباسي العباس أحمد المستظهر بالله بن عبد الله المقتدي (٤٨٧-٥١٢هـ/ ١٠٩٤- ١١١٨م)؛ إذ استحوذ الروم على بيت المقدس وبعض بلاد الشام، ومكث في أيديهم

---

[1]) هو أبو الحجاج يوسف بن عمر الإشبيلي، ولد ونشأ في إشبيلية في منتصف القرن السادس الهجري، هاجرت أسرته الأموية من مدينة قرطبة إلى إشبيلية بعد سقوط الخلافة، انخرط في السلك الإداري الموحدي، وعمل كاتبًا ومؤرخًا للبلاط، تعرض لوشاية وصُودِرت أملاكه واتهم بسرقة أموال خزينة الدولة، وبعد تحقيقات أظهرت براءته أطلق سراحه وعين قاضيًا بعدها. انظر: ابن الآبار أبو عبد الله محمد القضاعي (٦٥٨هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عزت العطار الحسيني، (القاهرة – بغداد: مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى، ١٣٧٥/ ١٩٥٦م)، ج٢، ص ٦٤٣؛ ابن عذاري، **البيان**، قسم الموحدين، ص ٢٢٠-٢٢٥؛ ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٤١هـ): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب وتاريخ مدينة فاس**، (الرباط: دار المنصور، ١٩٧٣م)، ص٢٥١.

[2]) ابن عمر، أبو الحجاج يوسف بن عمر الأموي الإشبيلي (ت القرن ٧هـ/ ١٣م)، **نصوص من روايات كتاب تاريخ الموحدين أولاد عبد المؤمن بن علي الضائع**، جمع وتحقيق: أكرم حسين غضبان، مجلة آداب البصرة، العدد (٧١) ٢٠١٤م، ص ١٤٥.

[3]) ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص ٢٥١.

إحدى وتسعين سنة على حد قوله([1]) في إشارة إلى بداية الحملة الصليبية الأولى عام (٤٩٢هـ / ١٠٩٩م) التي على إثرها احتل الصليبيون القدس([2])، وأضاف أنه حُرِّر واستُخلص منهم في عصر الخليفة العباسي الناصر لدين بالله أبي العباس أحمد بن المستضيء (٥٧٥- ٦٢٢هـ/ ١١٨٠ - ١٢٢٥م) على يد عامله على مصر صلاح الدين (٥٦٧- ٥٨٩هـ/ ١١٧١- ١١٩٣م) وذلك عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، ومن الملاحظ رغم أنه لم يسمِّ الحملة الصليبية التي كانت على الشام، ولا موقعة حطين التي استرد فيها المسلمون بيت القدس ولا أي تفاصيل أخرى ([3])، لكن هذه العجالة تشي بأن المسجد الأقصى والقدس في فكر المؤرخ المغربي ووجدانه، فلم يتجاهل ذكر الحدث الجلل والمعاصر لدولة الموحدية التي يدون تاريخها في كتابه، فأوجز أخباره من تعرضه للاحتلال الصليبي إلى تحريره في حطين في أثناء إيراده خبرًا للدولة المرابطية، وليس في تدوينه لأحداث الدولة الموحدية المعاصرة لفتح القدس، بعبارات تاريخية حذره من إبداء أي احتفاء بالنصر أو إطراء قائده مع تعمد الحيادية والتجرد، وتجنب سرد رواية موقعة حطين وأي تبعات وأثر في المغرب الإسلامي له، وربما يسوّغ ذلك ميل بعض المؤرخين المعاصرين إلى الموحدين سياسيًّا ومجاملتهم؛ مراعاةً لتوتر العلاقات بين الموحدين والأيوبيين.

لكن الرحالة ابن جبير خالف معاصريه، فوقف في رحلته الأولى التي بدأت عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م) وامتدت إلى (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) مثنيًا على عدل السلطان صلاح الدين وفضله في محو المكوس التي فرضها الفاطميون على الحجاج، والتي كانت تجبى منهم ويُضطهدون بسببها، ناهيك بأنها تثقل كواهلهم، وينكلون في سبيل دفعها، وأما الذين لا يدفعون الضريبة في عيذاب ([4]) وتصل أسماؤهم إلى جدة (غير

---

[1]) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ٩٨.

[2]) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبد الله القاضي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج ٩، ص ١٩- ٢١؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، (بيروت: مكتبة المعارف، د.ت)، ج ١٢، ص ١٥٦-١٥٧.

[3]) مؤلف مجهول، **الحلل**، ص ٩٨.

[4]) عيذاب: ميناء على بحر القُلْزُم (البحر الأحمر) ترسو فيه السفن القادمة من اليمن ومصر. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص١٧١.

معلم عليها علامة الأداء) فكانوا يلقون فيها أضعاف العذاب، فأبطل صلاح الدين هذه المكوس، واستبدل بها ما كان يرسله من الأموال سنويًّا والتي تبلغ ألف دينار وألفين إردب([1]) من القمح، وثمانمائة قفيز([2]) غير الإقطاعات التي أقطعها بصعيد مصر واليمن لأمير مكة مكثر بن عيسى([3]) لتكون عوضًا عن الغرامات المجحفة في حق الحجاج باستحلال دمائهم وأموالهم([4]).

ومن الجلي أن رحالتنا الأندلسي كان معجبًا بشخصية صلاح الدين، فقد دبّج فصلًا لذكر سيرته وعدله، وأطنب بتعداد مآثره المأثورة في الدنيا والدين على حد تعبيره، ومثابرته على جهاد أعداء الله من الصليبيين؛ لأنه –وفقًا لرؤية ابن جبير– ليس إمام البلدة –يعني مصر والشام– بل بلد الإسلام، فهو رحمة من الله للمسلمين، فلا يأوي لراحة ولا يخلد إلى دعة، فليس من ملوك المسلمين أحد مثله([5]) . كل هذا قبل قيام صلاح الدين بفتح بيت المقدس، وما إن شاع خبر استرداد القدس من قبل السلطان الأيوبي سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) حتى شد الرحال مرة ثانية عام (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) إلى المشرق دافعه زيارة بيت المقدس بعد تحريره([6])، وبما أن الخبر أوقد وجدانه، وتجشم من أجله عناء الطريق؛ فمن

---

[1]) إردب: مكيال قديم استعمل في الأقاليم الإسلامية لوزن المكاييل الكبيرة يساوي اليوم ٤٨ كيلو غرامًا. انظر: ابن منظور، **لسان** ، ج ٥، ص ٣٩٦، علي جمعة محمد، **المكاييل والموازيين الشرعية**، (القاهرة: القدس للنشر والإعلان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٣٩.

[2]) قفيز: مكيال تكال به الحبوب وغيرها، تتخلف تقديراته حسب البلد، فهناك القفيز المصري، والإشبيلي والعراقي، والجمع أقفزة، يعادل أربعة وعشرين كيلو غرامًا. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٥، ص ٣٩٦؛ علي جمعة، **المكاييل**، ص ٣٩.

[3]) هو أبو محمد مكثر بن عيسى بن فلتة بن قاسم بن محمد بن أبي هاشم الحسني، تقلد إمارة مكة سنة (٥٧١هـ) إلى حين وفاته سنة (٥٨٩هـ)، وبموته انقرضت دولة الهواشم بمكة. انظر: ابن الأثير، **الكامل** ، ج ١٠، ص ٧٧.

[4]) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت٦١٤هـ): **تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار المسماة رحلة ابن جبير**، (بيروت: دار صادر، دت)، ص ٥٤–٥٥، ٢٥٧.

[5]) ابن جبير، **رحلة**، ص ٢٧٠.

[6]) ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري (ت ٧٠٣هـ): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م)، ج٣، ٥١٢؛ ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، تحقيق: يوسف علي الطويل، ج٢، ص ١٤٦.

المؤكد أنه أمطر صلاح الدين بوابل من الإطراء، وتغنى بالفتح، ودون ذلك في رحلته الثانية، ولكنها لم تصل إلينا، فهي ضمن الجزء المفقود من كتابه (تذكرة الأخبار).

وتفصح المصادر عن أن لابن جبير ميولًا أو تأييدًا للموحدين، ولا أدل على ذلك من أبياته الشعرية التي فاضت بها قريحته مثنيًا على الخليفة الموحدي المنصور أبي يوسف يعقوب (٥٨٠هـ-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) قبل رحلته الثانية إلى المشرق؛ لحمايته الدين في إشارة إلى دوره في صد الخطر الإسباني النصراني عن الأندلس؛ إذ قال:

بلغـــت أمير المؤمنين مدى المنى لأنك قـــد بلّغتنا ما نؤمـلُ

قصدت إلى الإسلام تعلى مناره ومقصدك الأسنى لدى الله يقبلُ

تداركـــت دين الله في أخذ فرقةٍ بمنطقهم كان البـــــلاء الموكلُ

وفي قصيدة أخرى قال:

خليفة الله دم للدين تحرسهُ من العدا وتقيه شر كل فئةْ

فاله يجعل عدلًا من خلائـــقه مطهرًا دينه في رأس كل مائةْ([1])

ولعل ما يجمع بين تأييده لكلا الرجلين صلاح الدين والمنصور الموحدي هو فكر ابن جبير الذي يدور في فلك الدفاع عن الدين وحماية أراضيه، والصفة موجودة في كليهما؛ لذا ففي أشعاره امتدح فيهما البطولة والعدل والنصر على الأعداء، ورآهما مفخرة من مفاخر الإسلام.

وإذا ما أمعنا النظر في سيرة ابن جبير فإننا نحصل على صور تقربنا من سبب ثنائه المعلن على صلاح الدين دونما غضاضة من سلطةٍ أو انتماء؛ فالصورة الأولى أن ابن جبير كان محايدًا في تسجيل أحداث عصره رغم ميوله الوطنية الى دولة الموحدين([2])، والصورة الأخرى أنه لم يكن من مؤرخي البلاط البلاط ، وليست له غاية التزلف للخلفاء، على عكس بعض معاصريه كابن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) مصنف كتاب (المن بالإمامة)، وابن القطان (ت ٦٧٠هـ/ ١٣٢٥م) مؤرخ كتاب

---

[1]) ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل**، ج٤، ص٣٢.

[2]) زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م)، ص ٦١-٦٣.

(نظم الجمان وترتيب ما سلف من أخبار الزمان)، وعبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) صاحب كتاب (المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب)؛ إذ يحبر (أحد الباحثين) أن هؤلاء اهتمت كتابتهم برسم صورة تاريخية عن الدولة الموحدية بهدف تقديمها بواقع يختلف عن واقعها الحقيقي، ويتمشى مع سياسة حكامها، ونهج ابن تومرت([1]).

وتجلى التلاحم بين المسلمين في المشرق والمغرب ضد الصليبيين والنصارى الإسبان في أبهى صورة عرضها ابن جبير عندما استحضر قول: "**الإفرنج: إن هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون على بلادنا ونسالمهم ولا نزرأهم شيئًا، فلما تعرضوا لحربنا وتألبوا مع إخوانهم المسلمين علينا وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم**"، وأورد السبب في ذلك أن طائفة من المقاتلين المغاربة اشتركت مع المسلمين في الشام في فتح أحد الحصون الصليبية، وكانوا رأس حربة في الفتح، وفيما يبدو أن الصليبيين استاؤوا من قدوم المغاربة من بعيد ومشاركة المسلمين في قتالهم، فجازوهم بضريبة خاصة قدرها دينار على كل شخص([2])، ولم تكن الحماسة الجهادية، وشعور حب التضحية، والدفاع عن المقدسات، غريبًا عن اللحمة الإسلامية بين أهل المشرق والمغرب.

ظلت الأهمية الدينية والتاريخية لمعركة حطين في وجدان مؤرخي الغرب الإسلامي ومفكريه حتى مع تقادم الزمن وطول العهد من الفتح، فأبدى بعض مؤرخي المغرب والأندلس بهجتهم بنصر حطين في لهجة تنم عن افتخار واعتزاز باسترداد بيت المقدس والمسجد الأقصى، منهم الرحالة ابن بطوطة، ففي عرضٍ مقتضب (ت ٧٧٩هـ/١٣٣٧م) خُصِّصَ للحدث لم يخلُ من تكريم وأبهة لشخص صلاح الدين الذي نعته بالفاضل والقائد المجاهد المقدام الذي خدم الإسلام، ودعا له بأن يجزيه الله عن الإسلام خيرًا، ثم ضمن الخبر برواية تشير إلى أن السلطان الأيوبي قام بهدم جزء من أسوار المدينة خشية من

---

[1]) الحاج غيدي ومراد عربي، **دور مؤرخي البلاط في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، (الجزائر، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥-٢٠١٦م)، ص ٧٠.

[2]) ابن جبير، **رحلة**، ص ٢٣٤-٢٣٦.

غزو الصليبيين مرة أخرى فيتحصنوا به(١)، لكن ابن بطوطة فيما يبدو وقع في لبس تاريخي؛ فمصادر تاريخ الدولة الأيوبية (٥٦٧- ٦٤٨هـ / ١١٦٩- ١٢٥٠م) بل المؤرخون المعاصرون لها أجمعوا أن السلطان صلاح الدين قد قام ببناء ما تهدم من سور بيت المقدس جراء ضربه بالمجانيق إبان معركة فتحه حتى لا تتعرض المدينة لمهاجمة الصليبيين مرة أخرى، كما حفر حوله الخنادق(٢)، والصحيح أن الذي هدم السور هو الأمير عيسى بن العادل الأيوبي صاحب دمشق في عام (٦١٦هـ/١٢٢٠م) لما رأى من قوة الصليبيين وتغلبهم على دمياط خشي أن يقصدوا القدس فلا يقدر على صدهم وحماية المدينة، فخربها لذلك السبب(٣)، ويعيد (محمد عابد) كثرة الأخطاء التي وقع فيها ابن بطوطة أثناء تدوين رحلته وخاصة في الأسماء وفي وصف المدن إلى المدة من خروج ابن بطوطة وعودته إلى بلاده، فتعدُّ مدة طويلة من المحتمل أن يكون تعرض فيها للنسيان، فنسي الكثير من المعلومات والأحداث التي علقت بذاكرته وأراد تدوينها (٤).

أيًّا كان الأمر؛ فقد أراد ابن بطوطة أن يعطي الفعل دلالة رمزية لإبراز رؤية سياسية وعسكرية ثاقبة لصلاح الدين بالحفاظ على ثمار الفتح، فضلًا عن إضفاء بعد ديني على عمله، وإظهار توجسه من أن تواجه الأماكن المقدسة المخاطر؛ لذا سعى لتحصينها وتأمينها.

---

١) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد عبد الله اللواتي (ت٧٧٩هـ): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج١، ص ٧٥.

٢) الأصفهاني، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ): **حروب صلاح الدين فتح بيت المقدس المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي**، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ٢٩٥؛ ابن الأثير، **الكامل** ، ج١٠، ص ٢١١؛ ابن واصل، أبو عبد الله محمد بن سالم التميمي (ت ٦٩٧هـ): **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال و آخرون، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية والمطبعة الأميرية، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، ج٢، ص ٢٧٥.

٣) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ): **المختصر في أخبار البشر**، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج٣، ص١٣٢؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٤٧هـ): **البداية والنهاية**، (بيروت، الرياض: مكتبة المعارف، مكتبة النصر، ١٩٩٦م)، ج١٣، ص ٨٣.

٤) محمد يوسف عمر عابد، **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية مقارنة (٧٢٦- ٧٥٠ هـ/ ١٣٢٦-١٣٤٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، (مكة: ١٤٠٦هـ / ١٩٩٦ م)، ص ٨٠ -٨١.

واختزل بعض المؤرخين فتح بيت المقدس في نتائج النصر ومكتسباته، وتعمدوا تجنب تفاصيل حطين وما بعدها، وكان جل همهم أن يعيدوا فضل زيارة بيت المقدس وحريته، والنشاط العلمي الدؤوب فيه، وكل ما يعاصرونه إلى صلاح الدين؛ كالبلوي(ت ٧٨٠هـ/ ١٣٨٧م) في رحلته (تاج المفرق)، فعندما دخل القدس في المحرم من عام (٧٣٨هـ/١٣٣٨م) سجل مشاهداته لبناء المسجد الأقصى وأروقته وساحاته ومداخله ومآذنه ومنبره ومحرابه، والحِلَق العلمية والمدارس ومن لقيهم من العلماء، عادًّا الحركة العلمية وما جرى من إصلاحات من أسباب النصر وثماره، وأنه حال عودة بيت المقدس إلى سلطة المسلمين على يد صلاح الدين تغيرت الأوضاع وتبنى العبارة التي كتبت على المحراب وهي: "**أمر بتجديد المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه..... صلاح الدين** "(١)، فعقب عليها وأطنب في الحديث عما شاهده من عمارة وتجديد للبناء(٢)، وبجلاء أثنى البلوي على صلاح الدين بعبارات تفوح بالتمجيد فنعته (بصلاح الدين والدنيا) و(عبد الله ووليه الذي جدد عمارة المسجد على التقوى)، وختمها بنبرة من التباهي على مقدرة صلاح الدين فتح المدينة في شهور من عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) وأنه ظل -أي صلاحًا- يسأل الله -جل وعلا- أن يوزعه شكر هذه النعمة(٣)، وإيراد مثل هذا الكلام عن صلاح الدين يحمل بين طياته رغبة البلوي في إظهار قائد حطين بحسن التخطيط ناهيك ببطولته، وزهده في عدم الإشارة إلى جهوده، ورد الفضل كله لله وحده.

ولا أدل على ذلك من استهلاله بالفتح الصلاحي لبيت المقدس بعد انتهائه مباشرة من تعداد فضائله، وأنه أرض الإسراء والمعراج لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كل ذلك قبل أن يبدأ بتاريخ الأنبياء وبالفتح العمري(٤)، وكأنه رأى أن أهمية الحدث وما يميل إليه وجدانه لا يستلزمان التسلسل

---

١) البلوي، خالد عيسى (ت ٧٨٠هـ)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق المسماة رحلة البلوي**، تحقيق: الحسن السائح، (أبوظبي: المغرب: اللجنة المشتركة لصندوق إحياء التراث الإسلامي، د.ت)، ج١، ص ٢٤٦ -٢٤٨.

٢) رغد علي الزبون، **بيت المقدس في أدب الرحلات المغربية رحلة أنموذجًا**، مجلة العالمية الإسلامية للدراسات الإنسانية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، مج ٢٧، ص ٢٣٨.

٣) البلوي، **رحلة**، ج١، ص ٢٤٦ -٢٤٨.

٤) البلوي، **رحلة**، ص ٢٤٨-٢٦٦.

الزمني والتدرج التاريخي، بالإضافة إلى أن هذه الباكورة بالفتح الصلاحي يمكن عدُّها تأكيدًا على أن صلاح الدين هو واضع حجر الأساس لما شاهده البلوي، بالرغم من أن القدس حين رحل إليها البلوي كان قد مر عليها زمنٌ طويلٌ قرابة قرن ونصف شهدت خلاله كثيرًا من الإصلاحات([1]).

وذهب معاصره لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) في موسوعته التاريخية الأندلسية (أعمال الأعلام) إلى أبعد من ذلك عندما استنسخ الخبر من المصدر المشرقي (الفتح القسي في الفتح القدسي) للعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) المعاصر للدولة الأيوبية (٥٦٧- ٦٤٨هـ / ١١٦٩-١٢٥٠م).

ويلوح في الذهن أن كتاب (الفتح القسي) ليس كأي مصدر من مصادر الدولة الأيوبية، بل فريد من نوعه؛ إذ خصصه مؤلفه لتاريخ السنوات السبع فقط من حياة صلاح الدين وحروبه في مصر والشام (٥٨٣- ٥٨٩هـ /١١٨٧ - ١١٩٣م) دشنه عام حطين واسترداد بيت المقدس، وقد علل افتتاحه بهذا العام بأنه يعدُّ فتح صلاحٍ هجرةً ثانيةً للإسلام إلى بيت المقدس([2])، واختيار ابن الخطيب له لم يمكن محض مصادفة، فمن الواضح أنه وجد في كتاب العماد الأصفهاني ما خالج وجدانه وانسجم مع شغفه تجاه الحدث، بالإضافة إلى ما توصل إليه (أحد الباحثين) بأن ابن الخطيب في كتابه (أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام) لم يكن يبسط الحديث إلا عن السلاطين والأمراء الذين وافقوا شرط كتابه، وهم الصبية الذين تولوا الحكم ولم يبلغوا سن الحلم([3])، لكن بسطه الحديث عن تاريخ

---

[1]) في عهد الظاهر بيبرس والسلطان المملوكي محمد قلاوون (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤١م) المعاصر للبلوي الذي بسط القول عن جهوده في هذا المضمار، ولكنه وقع في خطأ تاريخي حينما لقبه بالملك المنصور والأخير كان حكم من عام (٦٧٨- ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) وترميم قبة مسجد الصخرة كان في عام (٧١٨هـ/ ١٣١٩م) أي ضمن سنوات عهد الناصر محمد قلاوون وليس المنصور الذي لم يعاصره البلوي، وشهدت القدس كثيرًا من الإصلاحات في العصرين الأيوبي والمملوكي. للاستزادة انظر: صفوان خلف التل، **آثار وتاريخ الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي (٥٦٤- ٦٤٨هـ/ ١١٦٥م)**، رسالة ماجستير غير منشورة (الأردن: الجامعة الأردنية، نيسان ٢٠٠٢م)، ص ٣٢-٨٥؛ خليل عثمانة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧-١٥١٦م)**، (د.م، د.ن، د.ت)، ص ٣٩٩-٤٤٠.

[2]) الأصفهاني، **الفتح**، ص ٢٩٥-٢٩٦.

[3]) نوال فرحان محمد الخالدي، **منهج ابن الخطيب التاريخي في كتابه أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ص ١٠١.

صلاح الدين وفتحه لبيت المقدس هو استثناءٌ من هذه القاعدة، وهذا يدل على خصوصية الخبر وتميزه عن غيره من الحوادث التاريخية لدى ابن الخطيب، لكنه استخدم الكياسة في الكتابة، فجمع بين إجلاله للحدث والالتزام بميثاق مصنفه؛ وذلك عندما لم يؤرخ للفتح في عصر صلاح الدين الأيوبي(٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١- ١١٩٣م)، بل استطرد به مسهبًا في عصر السلطان الصالح بن العادل الأيوبي (٦٣٥- ٦٣٧هـ/ ١٢٣٧-١٢٣٩م) الذي تولى الحكم وهو صبي لم يبلغ الحلم؛ فهو من شرط كتابه([1])، وبذلك جمع بين الإجلال وتفادي الإخلال بشرطه.

تبنى ابن الخطيب إطلاق (الهجرة الثانية أو هجرة الإسلام) على استرداد بيت المقدس، بأسلوب مفعم بالبهجة والفخر، وبدأ المؤرخ الأندلسي مستفتحًا بقوله: "**كفى بفتح بيت المقدس فتحًا شهيرًا وذكرًا جميلًا وأثرًا كبيرا**"([2])، فاستدعى التاريخ ليغلف به ما ألهب عاطفته، ويعزز به صحة مبدئه؛ إذ استحضر تأريخ الأقوام والدول بأحداثها المهمة؛ كاليهود والنصارى والعرب، فيشير مثلًا إلى أن اليهود والنصارى أرخوا بأخبار أنبيائهم وخلفائهم، وبعمارة بيت المقدس وخرابه، والعرب قبل الإسلام أرخوا بحرب داحس والغبراء([3])، وبحرب الفجار([4])، وحلف الفضول ([5])، والمسلمون أرخوا بالهجرة النبوية؛ ليقنع قارئه

---

[1]) ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت ٧٧٦هـ)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق: سيد كسروي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ج١، ص ٢٦٨.

[2]) ابن الخطيب، **أعمال**، ج١، ص ٢٦٩-٢٧٠.

[3]) داحس والغبراء: حرب في الجاهلية بين قبائل غطفان (عبس وذبيان) وسببها فرسان هما داحس لصاحبها قيس بن زهير، والغبراء لصاحبها حذيفة بن بدر بينهما سباق، وكان من المتوقع أن تفوز داحس، لكن رجلًا من ذبيان وضع كمينًا له، فجعله ذلك يعدل عن طريق الفوز وفازت الفرس (الغبراء)، دامت الحرب أربعين سنة وانتهت الحرب بعدما تدخل سيدان من قبيلة ذبيان هما (هرم بن سنان والحارث بن عوف) بدفع ديات القتلى. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج١، ص ٥١٣-٥١٦.

[4]) حرب الفجار: هي حرب نشبت في الجاهلية بين قبيلة كنانة من قريش وبين قبائل قيس عيلان (هوازن وغطفان وسلم) وانتهكت فيها حرمات الأشهر الحرم، وقطعوا الصلات والأرحام؛ لذا سميت حرب الفجار، وعلى إثرها أقيم حلف الفضول. انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (حلب: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ج١، ١٨٤-١٨٦.

[5]) حلف الفضول: حلف أقامته قريش قبل البعثة عقب حرب الفجار لنصرة المظلوم أيًّا كان من أهل مكة أو غيرها، اشتركت فيه بطون قريش (بنو هاشم) و(بنو زهر) و(بنو أسد) في دار عبد الله بن جدعان، وتعاهدوا أن يكونوا مع

وخاصة أهل التاريخ منهم بأن يؤرخوا بفتح بيت المقدس؛ لأنه –من وجهة نظره– (هجرة ثانية للإسلام) واصفًا أمده بأنه مقرون بيوم القيامة، وأن موعده كان لا بد من وقوعه من الله ليس له دافع من أحد كيوم الآخرة([1]).

واستتباعًا لأسلوب ابن الخطيب الزاخم بالحفاوة للحدث؛ عمد إلى إيراد الأسباب التي سوَّغ فيها العماد الأصفهاني تصوره واقتراحه بأن يؤرخ المسلمون بالفتح الصلاحي؛ **الأول** لأن عامه يحسن أن يبنى عليه التاريخ، وعلى نسقه ينسق، والثاني لأنها أقوى الهجرتين، وأقوى الكرتين؛ فإن العرب كانت إذا قد بلغت غايتها في وصف الرجل بالقوة تقول (كأنه كسر ثم جبر) أي كأن لم يمر به كسر لما تم له من الجبر والبأس الصلابة؛ لأن هناك فرقًا كبيرًا بين فتح الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– والفتح الذي كان على يد صلاح الدين الأيوبي؛ فحال الإسلام في الشام زمن صلاح الدين الأيوبي أضعف لتعرضه للحملات الصليبية من الروم التي تركت آثارها على البلاد، ناهيك بتشرذم المسلمين وتفرقهم، أما فتح الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فكان أكثر ثقة بالنصر ؛ لتوحدهم على قلب رجل واحد، ولقربهم من العهد النبوي وزمن الوحي؛ إذ بشر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤازرة والنصر ، وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه يملك الدنيا، وتزوى له الأرض مشارقها ومغاربها، فكان تقدمهم ثقة بوعود النصر ، وإن الإسلام في منعة وقوة آنذاك([2]).

استمر ابن الخطيب في إشادته بالفتح بأنه هو أعظم من كونه فتحًا واحدًا، بل هو فتحان؛ فتح والدم ذائب، وفتح والذهب جامد، وهي كناية عن أنه أدمى جراحهم، واستنزف قوتهم، وأثخن فيهم، ويلقي هالة من العظمة على صلاحٍ واستحقاقه الثناء بإجماع الناس، فهم أكيس أن يمدحوا رجلًا ما لم يروا آثار إحسانه، ويختم ابن الخطيب بالرجاء لله أن يكتبه من الصادقين والمحسنين، وأن يُحشر مع الذين

المظلوم حتى يرد إليه حقه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((شهدت مع عمومتي حلفًا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)). انظر: ابن هشام، **السيرة**، ج١، ص ١٣٣–١٣٤.

[1]) ابن الخطيب، **أعمال**، ج١، ص ٢٦٨–٢٧٠.

[2]) ابن الخطيب، **أعمال**، ج١، ص ٢٧١–٢٧٤.

آمنوا أمثال صلاح الدين، ويختم حتى إذا ما فاخر السيف القلم فالبون شاسع بين مكانة العلماء والملوك المجاهدين أمثال صلاح الدين، وشتان بين أهل القلم والتدوين وبين أهل السيف وتسطير الملاحم([1]).

أما معاصره ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) فكانت أساليبه أقل إجلالًا في سرد خبر فتح بيت المقدس، ولم تظهر العاطفة الجياشة التي طغت على تعبير ابن الخطيب في أساليب ابن خلدون في كتابيه (العبر) أو (المقدمة)، مع أنه لم يفته حتى ذكر فضل بيت المقدس ومكانته الدينية ([2])، لكن همه كان التركيز على نتائج الفتح؛ لذا استفاض بتعداد مظاهر النصر من رفع الأعلام الإسلامية على أسوار القدس، وتطهير المسجد والصخرة من أقذار الصليبيين، وقيام صلاة الجمعة والفروض الخمس في المسجد الأقصى كان فيها صلاح الدين إمامًا وخطيبًا، كما أمر بحمل منبر نور الدين محمود زنكي الذي أعده من عشرين عامًا للمسجد الأقصى من حلب إلى القدس([3])، وشرع بعدها ابن خلدون مسترسلًا في تعداد مكتسبات النصر من عمارة المسجد الأقصى، وتزويده بالمصاحف، وإقامة حِلَق للقراء، وإجراء الرواتب والأعطيات لهم، وبناء الربط والمدارس والبيمارستانات والأوقاف، وإصلاح سور القدس، وعقد الصلح مع ملوك الصليبيين([4])، وتشجيع أهل القدس من المسلمين والنصارى والجند على شراء عقارات الصليبيين التي باعوها بأبخس الأثمان عند رحيلهم، ورغم إسهابه بذكر الآثار الإصلاحية في بيت المقدس، لكننا لم نجد إلا جملتين في مدح صلاح الدين طعم بهما روايته للخبر؛ إذ قال: **(فتح القدس كان يومًا مشهودًا)**، وقال: **(هي مكرمة من مكارمه رحمه الله تعالى)** يعني صلاح الدين([5])، لكن ابن خلدون انفرد عمن سبقه من مؤرخي الغرب الإسلامي بتسجيله الاستعدادات الأولى لمعركة الفتح، ومكان اختيار معسكر المسلمين في جهة الشمال نحو باب العمود وكنيسة صهيون، وتنصيبه للمجانيق عليها، واحتدام المعركة واشتداد القتال حتى دب الوهن في الصليبيين وطلبوا الأمان، فلما جنحوا إلى السلم أمنهم وشارطهم على الجزية عشرة دنانير للرجل، وخمسة للمرأة، ودينارين للصبية على

---

[1]) ابن الخطيب، **أعمال**، ج١، ص ٢٧١-٢٧٤.

[2]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ): **المقدمة**، تحقيق: درويش الجويدي، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص ٣٢٩-٣٣٠.

[3]) ابن خلدون، **العبر**، ج٣، ص ٢١٠٩-٢١١٠.

[4]) ابن خلدون، **العبر**، ج٣، ص ٢١٢٤-٢١٢٥.

[5]) ابن خلدون، **العبر**، ج٣، ص ٢١١٠.

أجل أربعين يومًا، ومن تأخر أداؤه عن الموعد فيعدُّ أسيرًا، وتحدث عن تنظيم صلاح الدين للخراج لأهل المدينة من الصليبيين([1])، ولا غرابة فيما تطرق إليه ابن خلدون من تفاصيل لحوادث الفتح وما سبقته من تجهيزات؛ فطبيعة كتابه الموسوعي في التاريخ العام دعاه إلى ذلك.

سار الناصري السلاوي (ت١٣١٤هـ/١٨٩٦م) على غرار ابن خلدون في ذكره الفتح الصلاحي شبه خالٍ من عبارات التمجيد، فلخص الخبر من بداية الحملة الصليبية الأولى، واستيلاء الصليبيين على القدس وتحريره على يد صلاح الدين في بضعة أسطر؛ فقال: كانت الفرنج قد ملكوا سواحل الشام في آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة –يعني قبل هذا التاريخ– وملكوا معها بيت المقدس شرفه الله، فلما استولى السلطان صلاح الدين رحمه الله على ديار مصر والشام اعتزم على جهادهم وصار يفتح حصونها واحدًا بعد واحد حتى أتى على جميعها، وافتتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وهدم الكنيسة التي بنواحيها([2]).

ويبدو أن السلاوي وقع في خطأ تاريخي، فلما عدنا إلى خبر هدم الكنيسة لم نجد له ذكرًا في الموارد الأصيلة التي أرخت للحدث وعاصرته، بل على العكس أطلقت العنان في الإعراب عن تسامح صلاح الدين في ترك الكنائس للنصارى، حتى لما أشار عليه بعض المقربين منه بهدم كنيسة (القيامة)، وإزالة آثارها رفض مستشهدًا بأمر الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– (١٣–٢٣هـ/ ٦٣٤–٦٤٤م) للصحابة بعدم هدم أي بناء، وقام بتعيين دار البطرك رباطًا للفقراء، وهو بقرب كنيسة القيامة، ووقف عليهما وقوفًا وأسدى بذلك لطوائف النصارى معروفًا، ولم يقم صلاح الدين إلا بتحويل كنيسة (صند حنة) إلى مدرسة للفقهاء الشافعية([3]).

---

[1]) ابن خلدون، **العبر**، ج٣، ص ٢١٠٨–٢١٠٩.

[2]) الناصري السلاوي، أحمد بن خالد (١٣١٤هـ): **الاستقصا في خبر دول المغرب الأقصا**، (الدار البيضاء ، دار الكتاب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٢، ١٨٢.

[3]) الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص ٢٩٤؛ ابن واصل، **مفرج**، ج٢، ص ٢٣٠؛ أبو شامة، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٣، ص ٤٠٠.

ومن نافلة القول أن ننبه على أن المصادر المغربية والأندلسية لم تأتِ باسم معركة (حطين) ولا بشيء من تفاصيلها؛ كموقعها والاستعدادات لها وأحداثها، أو حتى اسمها عدا ابن خلدون الذي سرد بعضًا من أخبارها في كتابه (العبر)، وأحجمت عنها بقية المصادر رغم أن فتح بيت المقدس تيسر بنصرها، وضعفت مقاومة الصليبيين بسببها، وعلى إثرها أوشكت على الانهيار، والسبب –فيما نرى– أن المصادر المشرقية كانت قد استفاضت في الحديث عنها وأطنبت؛ لذا لم يرغب مؤرخو الغرب الإسلامي في تكرار الخبر، فكانت بوصلة وجدانهم تتجه صوب قمة الهرم للحدث وهو فتح بيت المقدس وعودة المسجد الأقصى للمسلمين.

ثالثًا: صدى الخبر على الموحدين وعلاقاتهم بالأيوبيين:

أفرز خبر الفتح الصلاحي لبيت المقدس عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م) مواقف سياسية متباينة للخلفاء والسلاطين المسلمين وغير المسلمين، فمنهم من أبدى سروره بالخبر واكتفى بإرسال رسائل التهنئة، ومنهم من بعث الوفود لتقديم التهاني، ومنهم من التزم الصمت، كل ذلك بعد أن أرسل صلاح الدين الكتب بالبشائر باسترداد بيت المقدس إلى الخليفة العباسي وإلى عدد من الحكام والأمراء شرقًا وغربًا؛ إذ بلغ عددها أكثر من سبعين كتابًا دونها العماد الاصفهاني (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، في مقدمتها كتابٌ أُرسِل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥– ٦٢٢هـ/ ١١٧٩– ١٢٢٥م) في بغداد ([1]) استهله بآية كريمة عن وعد الله سبحانه لعباده بالاستخلاف في الأرض في قوله تعالى: **{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من بعدهم ...}**، ومما جاء فيه: **"الْحَمْد لله الَّذِي أعَاد الْقُدس وأعاذه من الرجس، وحقق من فَتحه مَا كَانَ فِي النَّفس، وَبدل وَحْشَة الْكفْر فِيهِ من الْإِسْلَام بالأنس، وَجعل عز يَوْمه ماحيًا ذل الأمس، وَأَسْكَنَهُ الْفُقَهَاء وَالْعُلَمَاء بعد الْجُهَّال والضلال من البطرك والقس وَعَبدَة الصَّلِيب ومستقبلي الشَّمْس، وَقد أظهر الله على الْمُشْركين الضَّالّين**

([1]) بغداد: مدينة بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة (١٤٥هـ) في وسط العراق على نهر دجلة، وجعلها عاصمة للخلافة العباسية، وتدعى أيضًا مدينة السلام، كانت مقرًا للعلماء والفقهاء وطلاب العلم، ومركزًا للآداب والفنون، اجتاحها المغول سنة (٦٥٦هـ). انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص ٤٥٨.

جُنُوده الْمُؤمنِينَ الْعَالمين، وَقطع دابر الْقَوْم الظَّالِمين"([1])، ورد الخليفة على الكتاب بجواب فيه بشارة رائقة وتهنئة بالغة([2]).

وممن اتخذ موقفًا سياسيًّا يحمل بين طياته المؤازرة وإبداء السرور والبهجة، وبعثوا الوفود والسفارات بالتبريكات والتهاني ملوك سلاجقة الروم وخراسان والعراق وأمراؤهم؛ كـ(قتلغ أبنانج بن بهلوان) ورسول (قزل أرسلان) المستولي على ممالك أران([3]) وأذربيجان([4])، وهو عز الدين الطالبي وغيرهم، عقب أن وصلتهم رسائل صلاح الدين بتباشير النصر وبما منَّ الله به على المسلمين باسترداد القدس والمسجد الأقصى وتطهيره من الصليبيين، فكان صلاح الدين في مقدمة استقبالهم بمخيمه ظاهر بيت المقدس، تلك الفرحة العارمة التي غمرت المسلمين في أرجاء المعمورة كانت بمنزلة دعوة لعدد من الأمراء و العلماء والأعيان لزيارة بيت المقدس للصلاة في المسجد الأقصى، وتقديم التهاني لصلاح الدين([5]) .

وتلقى الإمبراطور البيزنطي (إسحاق الثاني أنجليوس) كتابًا أيضًا من صلاح الدين يبشره بالنصر وهزيمة الصليبيين، مرسلًا معه قرابة مائة وتسعين رجلًا من رعايا الدولة البيزنطية كانوا قد وقعوا في الأسر إبان حروبه ضد الصليبيين في القدس، وردَّ الإمبراطور البيزنطي عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) بسفارة إلى صلاح الدين يبارك له نصره على الصليبيين وفتح بيت المقدس([6])، ويحرضه على قتال اللاتين

---

[1]) سورة النور:٥٥؛ الأصفهاني، **الفتح**، ص ٨٢– ٨٥؛ ابن واصل، **مفرج**، ج ٣، ص ٣٢٤–٣٢٥؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٣، ص ٣٤٦– ٣٤٧.

[2]) الأصفهاني، **الفتح**، ص ١٠١–١٠٢.

[3]) أران: اسم أعجمي لولاية واسعة شمال بلاد فارس تقع بين أرمينية وأذربيجان، وبينها وبين أذربيجان نهر الرس، من مدنها بيلقان وجنزه، سكنها الخز، ينسب إليها الفقيه عبد الخالق بن أبي المعالي بن محمد الشافعي. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج ١، ص١٣٦.

[4]) أذربيجان: إقليم جبلي واسع يطل على بحر قزوين، أشهر مدنه تبريز، فيه قلاع كثيرة وخيرات وبساتين واسعة، تشتهر بزراعة الفواكه، وتمتاز بغزارة عيونها ووفرة المياه، فتحها المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه– عام (٢٢هـ) عنوة، احتفظ التاريخ لها بأحداث سياسية وحضارية عبر العصور. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج ١، ص ١٢٨–١٣٠.

[5]) العماد الأصفهاني، **الفتح**، ص ٩٩؛ ابن واصل، **مفرج**، ج١ ص ٤٩٦–٥٠٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٣ ص ١٢٠.

[6]) المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: مصطفى زيادة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٣٤م)، ج١، ص ١٢٤. Marshal Baldwin ,**the decline and fall of Jerusalem**,**in setton**,vol,I,p620.

في بلاد الشام، واسترداد المدن الساحلية من سيطرتهم، وأبدى إعجابه بشجاعته وبسالته، ويطلب منه عقد حلف ضد اللاتين، كما طلب مساعدة السلطان في إطلاق سراح أخيه (ألكسيوس) الذي كان أسيرًا لدى الصليبيين، وأُطلق أخو الإمبراطور وحُرِّر من قبضة الصليبيين وأُرسل إلى القسطنطينية([1])، وهذا العداء بين البيزنطيين والصليبيين له أسبابه المذهبية والسياسية([2]).

أيًّا كان الأمر؛ فالذي يعنينا أن المصالح السياسية قد جمعت بين الضدين صلاح الدين والإمبراطور البيزنطي، وهذا ما جعل الأخير يستبشر بالفتح الصلاحي لبيت المقدس، وبنهاية سيطرة الصليبيين على بلاد الشام وعلى كنائس النصارى هناك.

لكن يبدو أن المصالح سواءً السياسية أو المذهبية قد أدَّت دورًا آخر بين الدولة الأيوبية (٥٦٧- ٦٤٨هـ / ١١٦٩- ١٢٥٠م)، والدولة الموحدية (٥١٤- ٦٧٤هـ/ ١١٢٠- ١٢٧٥م) فمشهد الصمت السياسي من الخليفة الموحدي المنصور أبي يوسف يعقوب (٥٨٠هـ- ٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٩م) تجاه حدث بحجم فتح بيت المقدس وتحريره من الصليبيين بعد تسعين عامًا تقريبًا من الاستيلاء لا يمكن تفسيره إلا بوجود توتر واضطراب بين الطرفين، فمن المتوقع أن كتاب البشرى بالنصر وصله من صلاح الدين من ضمن الكتب السبعين التي أرسلها إلى حكام الدول، ولكن المصادر المغربية والمشرقية التي بين أيدينا لم تكشف عن هذا الكتاب، وإنما وثقت الكتاب الآخر الذي أرسله صلاحُ الدين إليه يطلب معونته عام (٥٨٥هـ / ١١٨٩م)، فمن غير الممكن أن يرسل صلاح الدين إلى الإمبراطور البيزنطي، ويتجاهل دولة وشخصًا بقدر الخليفة المنصور ودولة الموحدين، ولعل أقرب إلى المعقول أن صلاح الدين لم يطلب المعونة إلا وقد بعث قبلها برسالة البشرى في عام الفتح (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م).

---

[1]) (Setton,k.M, **A Histiry of the Crusade s** ,vol ,I,America,1458.p620 . Dogler,(Franz) ed ,Regesten,3 vols ,Munich,Berlin 1924-32 , p 98

[٢]) ومن أسباب الصراع بين الدولة البيزنطية والصليبيين أن الأولى على المذهب الأرثوذكس وتكره الصليبيين اللاتين الكاثوليك، وكانت الاتصالات بين الأيوبيين وبين الأرثوذكس من سكان بيت المقدس عن طريق اثنين من السفراء البيزنطيين، أحدهما جوزيف باتيت، والثاني يدعى ميلكيتس. انظر:
Brand,C.M,the Byzatine and Saladin ,vol 37,p171 . Dogler ,Regesten, , no1607 , p 98,

ويقود هذا الموقف السياسي المنفرد للموحدين إلى إثارة تساؤلات حول العلاقات السائدة بينهم من جهة، وبين الأيوبيين والخلافة العباسية (١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م) من جهة أخرى التي كان بنو أيوب يدينون لها بالولاء والشرعية؛ والأسباب التي خلقت هذه الأجواء.

ففي عام (٥١٢هـ/١١١٨م) تسلم المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/ ١١١٨- ١١٣٥م) زمام الخلافة العباسية فأحدث تغييرات في موازين القوى مستغلًا ضعف السلاجقة والنزاعات بين أمرائها، فاستعاد جزءًا من هيبة الخلافة التي افتقدها العالم الإسلامي طيلة سيطرة البويهيين (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م) ومن بعدهم السلاجقة (٤٤٧-٥٧٤هـ/١٠٥٥- ١١٧٨م) على مقاليد الحكم والخلافة، وكان دور الخليفة اسميًا، وذلك بعدما تمكن المسترشد من الانتصار على السلاجقة في موقعة تكش عام (٥٩٠هـ/ ١١٩٤م) في الري([1])، رغم مساعيه لإنهاء سيطرة سلاجقة الروم على بغداد؛ كضمه عددًا من قادة جيش السلاجقة المنشقين، وقطعه الخطبة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (٥٢٧-٥٤٧هـ/١١٣٣- ١١٥٢م) والتوجه إلى همدان ([2]) لمقاتلته هناك؛ لكن الأخير انتصر عليه ووقع الخليفة العباسي في الأسر والقتل عام (٥٢٩هـ/ ١١٣٥م).

ويبدو أن ثمار تلك الجهود لم تذهب سدى عندما تولى الخلافة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠- ١٢٢٥م) وتخلص من الهيمنة السلجوقية نهائيًا عام (٥٩٠هـ/ ١١٩٤م) ([3])، وهذا ما أسهم في استرجاع هيبة الخلافة العباسية؛ فجعل ذلك الأمراء في المشرق والمغرب يحرصون على مخاطبة ودها وعلى اعترافها الشرعي بحكمهم على أقاليم مختلفة من العالم، ومنهم ابن غانية في المغرب

---

[1]) الري: مدينة تقع شمال خراسان جنوب بحر قزوين على سفوح جبال البوزر في وادي خصيب، اشتهر بزراعة الفاكهة والتجارة، كانت مركزًا سياسيًا وإستراتيجيًا مهمًا في العصر العباسي لوقوعها على طريق بغداد خراسان، خرجت كثيرًا من العلماء؛ مثل أبي بكر الرازي. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص ١١٦-١١٢.

[2]) همدان: مدينة في غرب خراسان على سفح جبل الوند الشمالي الشرقي، تهيمن المدينة على السهل الخصب الواسع لأعلى نهر قاره، كانت مدينة مهمة لوقوعها على الطريق التجاري بين العراق والشرق في العصر السلوقي، شهدت أحداثًا كثيرة بين السامانيين والبويهيين ومن بعدهم السلاجقة، وغزاه المغول عام (٦٢١هـ). انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص ٤١٠-٤١٣.

[3]) فتمكن من استرداد عدد من المناطق عقب سقوط الدولة الفاطمية عام (٥٦٧هـ/ ١١٦٩م)، بعد أن قتل سلطانهم طغرل الثالث بن أرسلان الذي حكم حقبتين؛ الأولى (٥٧٢- ٥٨٨هـ/ ١١٧٦- ١١٩١م) والثانية (٥٨٨-٥٩٠هـ/١١٩٢- ١١٩٤م). انظر: العماد الأصفهاني، **الفتح**، ج١، ص ٨٣؛ ابن واصل، **مفرج**، ج١، ص ٢١٨.

الذي اتصل بالخليفة الناصر وطلب منه الخلع والأعلام السوداء، وهو اعتراف صريح بشرعية الخلافة العباسية، ومحمد بن هود الجذامي (٦٢٠-٦٣٥هـ/ ١٢٢٣-١٢٣٧م) صاحب مرسية (١) في الأندلس الذي أقام الخطبة للخلفية العباسي المستنصر (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٣٤- ١٢٤٢م) ورفع الأعلام السوداء راية العباسيين، وقبلهم كانت الدولة الأيوبية (٥٦٧- ٦٤٨هـ / ١١٦٩- ١٢٥٠م) التي حرص مؤسسها صلاح الدين على الولاء والشرعية للخلافة في بغداد، وخطب للخليفة العباسي حتى على منبر المسجد الأقصى بعد فتحه(٢).

لكن الموحدين (٥١٤- ٦٧٤هـ/ ١١٢٠- ١٢٧٥م) كان لهم رأي مغاير في مسألة الولاء للخلافة العباسية وإضفاء الشرعية، فبعد إسقاطهم لدولة المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/ ١٠٥٦-١١٤٦م) وبسط سيطرتهم على المغرب والأندلس رفضوا الاعتراف بالخلافة العباسية، وسموا أنفسهم خلفاء، وقطعوا الخطبة للخلافة على منابر المغرب والأندلس بعدما كانت ولاية عباسية يخطب فيها المرابطون لخلفائها على المنابر(٣)، ولم يكتفوا بذلك؛ إذ تشير بعض المصادر إلى نيَّات موحدية تجاه مصر، وتبينت من عدد من الإجراءات التي اتخذها أعيان من مصر لدخول الموحدين، في ما أورده ابن جبير من أن عددًا من فقهاء مصر وعلمائها قد أعدوا جملة من الخطب التي سيلقونها بين يدي المنصور الموحدي إذا تم له ذلك؛ يعني دخول مصر وبسط السيطرة عليها، وهي أرض تتبع العباسيين، وفي هذا يقول ابن جبير: "**ونمى إلينا أن بعض فقهاء هذه البلاد المذكورة وزعمائها قد حبّر خطبًا أعدها للقيام بها بين يدي سيدنا أمير المؤمنين ...، وهو يرتقب ذلك اليوم ارتقاب يوم السعادة، وينتظره انتظار الفرج بالصبر الذي هو عبادة، والله عز وجل يبسطها من كلمة، ويعليها من دعوة، إنه على ما يشاء قدير**"(٤).

---

١) مرسية (Murcie): مدينة بالأندلس في الشرق من أعمال تدمير، اختطها عبد الرحمن بن الحكم، وتشتهر بمزارعها وحدائقها. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص ١٠٧.

٢) الأصفهاني، **الفتح**، ج١، ص ٨٣؛ ابن واصل، **مفرج**، ج١، ص ٢١٨؛ ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ): **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين شيال، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص ٨٦.

٣) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب والأندلس**، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)، ج١، ص ٢٨٤.

٤) ابن جبير، **رحلة**، ص ٥١.

وهذا التأهب المصـــري الذي تناوله ابن جبير بالحديث ليس الدليل الوحيد على تلك التحركات الموحدية، بل يذهب المراكشي إلى القول بأن دخول مصر كانت فكرة تراود المهدي –محمد بن تومرت (ت ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)[١]– نفســه، حتى إنه ذكر لأحد أصــحابه يومًا أنه ينتظر اليوم الذي يرى فيه الموحدين أمراء مصر يستظلون بسلطانه في المغرب. ولئن كان غزو مصر هدفًا للموحدين من عهد مؤسس دولتهم المهدي، فالرغبة في تحقيق هذا الهدف لعلها زادت في زمن المنصور بعد ما حققه من انتصـــارات في المغرب والأندلس؛ لذا صـــرح بقوله: "**نحن إن شاء الله مطهروها**" يقصـــد بها البلاد المصرية؛ لما يزعم من انتشار البدع والمناكر فيها[٢].

وفي هذا القول وكل ما تقدم دلائل على توقد شعلة الصراع بين الخلافة العباسية والموحدين رائده الاختلاف المذهبي بينهما، فالعباســيون على مذهب أهل الســنة، أما عقيدة الموحدين فهي مزيج من مذهب الرافضة (الإمامية والعصمة والمهدية) والعقيدة الأشعرية، ومبادئ أهل الكلام من المعتزلة [٣]، وسببٌ قد يكون وجيهًا وهو أن اثنين من قواد بني أيوب وهما: شرف الدين قراقوش، و إبراهيم قراتكين الذين قام بالتحرك نحو المغرب في سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م)، واتبعوا ما نستطيع القول عنه بإستراتيجية (حرب العصابات)، وهو القيام بعمليات خاطفة وهجمات صغيرة ضد أراضي الموحدين [٤]، فإذا تم المراد أمن بنو أيوب على دولتهم، وإذا لم يتحقق الهدف فلا خســـارة على جيوش الأيوبيين، ولا لوم

---

[١] محمد بن عبد الله بن تومرت المصـــمودي البربري، أبو عبد الله، المتلقب بالمهديّ، ويقال له: مهدي الموحدين، صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية، وهو من قبيلة هَرْغة من المصامدة من قبائل جبل السوس، بالمغرب الأقصى. وتنتسب هرغة إلى الحسن بن علي، توفي عام (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م). انظر: ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص ١٧٢–١٧٨.

[٢] المراكشي، **المعجب**، ص ١٦٤، ٢٠٧.

[٣] البيذق، أبو بكر بن علي الصـــنهاجي (ت ٥٥٩هـ): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧١م)، ص ٣٤–٣٨، ابن القطان، **نظم الجمان** ، ص ٦٧، ١١١–١١٢؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: عواد معروف وميحي السرحان، (بيروت: مؤسسة السرحان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ج١٩، ص ٥٣٩–٥٥٢.

[٤] محمد بن تقي الدين الأيوبي صاحب حماة (ت ٦١٧هـ): **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، (تحقيق: الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠١هـ)، ص ٣٤، المراكشي: **المعجب**، ج٢، ص ٢٣٣، المقريزي، **السلوك**، ج ١، ص ١٧٥.

على السلطان صلاح الدين الأيوبي القائد التي علقت عليه آمال وحدة الصفوف لجهاد الصليبيين لأنهم لم يكونوا جيش أيوبي منظم ، فإن ثبت تاريخ دخول الأغزاز الترك عام (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)، وتمكنهم من الاستيلاء على مناطق للموحدين في المغرب الأدنى، وتحالفوا مع خصومهم كبني غانية في الأندلس، فإن ذلك يعد من الأسباب لعدم مباركة المنصور الموحدي لفتح بيت المقدس الذي كما هو معروف عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م).

حاول صلاح الدين رأب الصدع بينه وبين المنصور الموحدي، والنأي بنفسه عن الخلافات بين العباسيين في بغداد والموحدين، وكأنه يريد أن يبين للموحدين بأنهم جبهة الدفاع الأولى عن ديار الإسلام في المغرب؛ لذا أسماه (معلي الموحدين على الملحدين) و(سلطان الإسلام) في الرسالة التي كتبها إليه، وذلك عندما احتاج صلاح الدين إلى معونة المسلمين في المشرق والمغرب؛ لرد اعتداءات الصليبيين على بلاد المسلمين، خصوصًا بعد أصبح أسطول الأيوبيين يعاني من ضعف بعد تحريره لبيت المقدس، فضلًا عن خوضه حروبًا كثيرة مع الصليبيين لصد حملاتهم عن مصر والشام، ووصلت إلى بلاط المنصور الموحدي (٥٨٠هـ- ٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) سفارة أيوبية بقيادة الأمير ابن منقذ(١) تطلب إمدادات بحرية لمواجهة الأساطيل الصليبية سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م)، ولم يستجب الأخير ولم يرد على رسالة صلاح الدين(٢)، ورسالة ثانية مؤرخة في عام (٥٨٦هـ/١١٩٠م) ولكن لم نجد ردًّا في ما بين أيدينا من مصادر للخليفة الموحدي عليهما، وكلتا الرسالتين تضمنت الإشارة إلى طلب المعونة العسكرية وبالتحديد البحرية، ولكن الأولى التي وردت في صبح الأعشى أشارت إلى تحرير بيت المقدس من الصليبيين(٣)، وهي إشارة إلى إنجاز لا نظير له لصلاح الدين كان المقصد منه

---

(١) هو شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن منقذ من بيت بني منقذ ولد في شيراز عام (٥٢٣هـ) وتوفي عام (٦٠٠هـ) في القاهرة، وله نظم ونثر. انظر: ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (ت ٦٨١هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م)، ج٧، ١٢ -١٣.

(٢) مؤلف مجهول، **رسائل موحدية (مجموعة جديدة)**، تحقيق: أحمد عزاوي، (القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج١، ص ١٨٢- ١٩٠، ابن خلدون، **العبر**، ج٦، ص ٣٣١، الناصري السلاوي، **الاستقصا**، ج٢، ص ١٨٢.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م)،ج ٦، ص ٥٢٦-٥٢٩.

التذكير بأن الغرض ظفر الإسلام والحفاظ على مكتسبات النصر، وليس لطلب أي أغراض شخصية أو مصالح جماعية، أما الثانية التي وردت في الروضتين فهي تركز على طلب المعونة بالإمدادات البحرية كالأساطيل، وفي حال تعذرت الإعانة لا بأس بالمال والرجال([1]).

والحقيقة أن مؤلف رسائل موحدية مع أنه نقل الرسالتين من مصادر مشرقية (صبح الأعشى) و(الروضتين) كما ذكر آنفًا لكنه لم يتأثر بهم، فلم يحتفِ بالفتح الصلاحي لبيت المقدس ومر على ذكره مرور الكرام، والسبب هو أن جميع الرسائل كانت من إنشاء كُتّاب في ديوان الخليفة المنصور، ومن المستحيل أن يكتبوا إلا ما يملى عليهم وما يوافق هوى الخليفة، ولا يخرجون عن رغبته.

ويشير (أحمد عزاوي) إلى أن نص الرسالة التي أوردها صاحب الروضتين في عام (٥٨٦هـ/١١٩٠م) يشير إلى استنجاد سابق من صلاح الدين يقصد الرسالة التي في عام (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) وذكرها القلقشندي والتي جاء فيها: "**وهذه التحية الطيبة الكريمة الطيبة الواجبة الرد...**"، فيعني أن هناك رسالة تطلبت الرد فلا بد أن تكون هناك رسالة سابقة طلبت المعونة، ولكن المنصور فيما يتضح لم يستجب ولم يرد حتى على الرسالة، ويضيف أن رسالة (صبح الأعشى) تكثر فيها تعابير التبجيل للخليفة المنصور الموحدي (٥٨٠هـ- ٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م) فتصفه تارة باسم (سيدنا)، وأحيانا بلقب أمير المؤمنين، وأمير المسلمين، وهناك من يطعن في هذا معللًا بأن الرسالة المحمولة إلى المغرب لم تكن تحمل طابع صلاح الدين، أما رسالة (الروضتين) فهي تحمل تعابير حذرة تراعي مكانة الطرفين باعتدال، فرغم أنها تجرد صلاح الدين من الألقاب السلطانية وتصفه بالفقير إلى ربه يوسف بن أيوب، فإنها لم تعترف للمنصور الموحدي بلقب الخلافة؛ لذا قد يكون هذا سبب آخر في أن المنصور رفض تقديم المساعدة للأيوبيين([2])، وكأن المنصور رأى أن صلاح الدين ما دام على ولاء بالخلافة العباسية واعتراف بشرعيتهم، وكل نصر يحسب له وللخليفة، فلا سبيل إلى مساندة صلاح الدين وإمداده وهو حليف مناوئه العباسيين، وقطع بذلك أي محاولة للتقارب مع الأيوبيين، وأن يكون

---

[1]) أبو شامة، **الروضتين**، ج ٢، ص١٧١.

[2]) مؤلف مجهول، كلام المحقق، **رسائل موحدية**، ج٢، ص ٦٢ .

صلاح الدين طرفًا وسيطًا بين الخصمين العباسيين والموحدين، فضلًا عن المعارك التي كان يشنها الأغزاز الخارجين من مصر والتي قد تكون سببًا لا يستهان به.

وذهب (عبد المجيد جلوان) إلى ما عللناه لعدم تقديم المساعدة بأن يعقوب المنصور أخطأ خطأ كبيرًا حينما أرسل إليه صلاح الدين الأيوبي يطلب مؤازرة أسطوله، وإقفال البحر الأبيض المتوسط في وجه الأساطيل الأوروبية في طريقها إلى بيت المقدس، ويعلل المؤرخون ذلك بأن صلاح الدين لم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين، ونرى نحن أن لهذا الرفض علاقة ببعض الحروب التي قامت على حدود الموحدين الشرقية، ولو أقدم المنصور على إقفال البحر المتوسط، وكان أسطوله من أقوى الأساطيل الإسلامية، لكان من الممكن أن يغير مجرى التاريخ العربي([1]).

ومما له مغزاه في هذا السياق أن المنصور لم تفته فرصة تكريم السفارة الأيوبية، وخاصة رئيسها الأمير ابن منقذ، وذلك لثلاثة دوافع؛ أولها التزامه بالأعراف الدولية وهو حسن معاملة السفارة، وثانيها يطيب خواطر من يهمه الأمر من المسلمين، وآخرها يتجنب رد المنتقدين على عدم الاستجابة لطلب صلاح الدين، فابن عذاري (ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) ركز على التكريم والهدايا وأبهة الضيافة التي اسْتُقبل بها السفير الأيوبي، وأنهى حديثه بالثناء على المنصور متباهيًا بعبارة قد رأى ووعى في طريقه – يعني ابن منقذ – ومدة إقامته في المغرب أن فيها ملك الإسلام ومقر الإيمان([2])، ولعل ما يفسر أسلوب المجاملة هو أن ابن عذاري كان عاش في ظل الموحدين، وامتدت حياته إلى الدول التي جاءت بعدها؛ لذا لاحظنا تحفظه على ذكر سبب السفارة وعدم استجابة المنصور لطلب صلاح الدين.

وذكر ابن خلدون والناصري السلاوي هذه المراسلة والسفارة بين السلطان والخليفة، لكنهما انفردا بمعلومات دون سواهما من مصادر مشرقية ومغربية –على ما يبدو– مثيرة للتساؤل، وهي أن صلاح الدين بعث مع ابن منقذ هدايا تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين، ومائة درهم من دهن البلسان، وعشرين رطلًا من العود، وستمائة مثقال من المسك والعنبر، وخمسين قوسًا عربية بأوتارها، وعشرين

---

[1]) عبد المجيد جلوان، **هذه مراكش**، (القاهرة: مكتبة المغرب العربي، مطبعة الرسالة، ١٩٤٩م)، ص ٣٠–٣١.

[2]) ابن عذاري، **البيان**، ج٣، ص ٣١٤.

من النصول الهندية، وسروج عدة مثقلة([1])، وربما ما هو أغرب رواية وردت بلهجة التشكك تقول: "**ويقال إنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولًا ومنع النصارى من سواحل الشام والله تعالى أعلم**"، ويعلق ابن خلدون على المساعدة على حسب تعبيره، وهذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالأساطيل الجهادية، وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد بها([2])، فمؤرخو المشرق لم يذكروا المساعدة البتة، ولو حدثت بالفعل لامتدحوا المنصور وتباهى مؤرخو الغرب الإسلامي بها، وبخاصة المقربون من البلاط الموحدي، فما أورده أبو شامة من حصول المساعدة يناقض ما اتفق عليه المؤرخان ابن خلدون والسلاوي الذي قال: "لم **يحصل من جهة سلطان المغرب ما التمس منه من النجدة، وبلغني أنه عز عليهم كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين، على جاري عادتهم**"، كما أشار السلاوي في موضع آخر من كتابه إلى عدم حصول المساعدة، وذكر السبب أنه عدم مخاطبة المنصور بأمير المؤمنين، بل أسماه أمير المسلمين، وكأنه متشكك من رواية ابن خلدون ويريد أن يبرئ ذمته في موضع آخر؛ لذا كان هذا التشكك بكلمة (يقال) و(الله أعلم)([3])، واستبعد الباحث (إبراهيم حركات) رواية ابن خلدون وعدَّها رواية من غير إسناد([4])، وربما القصيدة الشعرية التي حبرها السفير الأيوبي ابن منقذ في مدح المنصور وبلغت أربعين بيتًا حدت بابن خلدون ومن بعده السلاوي أن يعتقدا ذلك؛ إذ أعطاه الخليفة بكل بيت ألفًا، وقال له: إنما أعطيناك لفضلك ولبيتك، فمن الجلي أن القصيدة كانت من أجل العطايا الشخصية لابن منقذ، وليست لأجل استجابة المنصور لصلاح الدين، ومما جاء في تلك الأبيات:

سأشكر بحرًا ذا عباب قطعتهُ إلى بحر جود ما لأخراه ســـــــــاحل

إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى إلى من سمت بالذكر منه الأوائلُ

إليك أمير المؤمنين ولم تـــــزل إلى بابك المأمول تزجى الرواحلُ

---

[1]) ابن خلدون، **العبر**، ج٦، ص ٢٤٧-٢٤٨؛ الناصري السلاوي، **الاستقصا**، ج٢، ص١٨٢-١٨٣.

[2]) ابن خلدون، **العبر**، ج٦، ص٢٤٧؛ الناصري السلاوي، **الاستقصا**، ج٢، ص ١٨٢.

[3]) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٦٢؛ الناصري السلاوي، **الاستقصا**، ج٢، ص ١٨٢-١٨٤.

[4]) إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١، ص ٢٧٦.

قطعت إليك البر والبحر موقنًا بأن نداك الغـــمر بالنجـــح كافلُ

وحزت بقصديك العلى فبلغتها وأدنى عطاياك العلى والفـــواضلُ

فلا زلتَ للعلياء والجود بانـــيًا تبلغك الآمال ما أنت آمـــلُ (١)

ألقت تباشير النصر بظلالها على المجتمع المغربي والأندلسي، فسجل لهم التاريخ مواقف تدل على متانة الرابطة الدينية، ومكانة بيت المقدس في نفوسهم، وتركت آثارها جليةً لإيجاد وجهة جديدة للرحلات من المغرب والأندلس.

رابعًا: موقف المجتمع المغربي والأندلسي من الفتح الصلاحي:

كانت نفوس أهل المغرب والأندلس تتوق إلى تحرير بيت المقدس، ولا تتوقف عن حلم استرداده؛ فهذا أبو الحكم بن برجان الأندلسي (ت ٥٣٦هـ/١١٤١م) الملقب بـ(غزالي الأندلس) بمشاعر فياضة حنَّ إلى فتح بيت المقدس، فطالع الحوادث بنظرة القارئ الثاقبة، وبإرهاصات المفسر الحصيف، فقد أورد في تفسيره لفواتح (سورة الروم)(٢) أن بيت المقدس سوف يفتح في رجب من عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) وذلك بحسابات مجتهد وفرضيات طويلة سردها في كتابه (تنبيه الأفهام) الذي ألفه عام (٥٢٠هـ/١١٢٦م) (٣)، ولكنه توفي عام (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) قبل أن تتحقق توقعاته ويتحرر بيت المقدس

---

١) المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ج ٣، ص ١٠٢ . الناصري السلاوي، **الاستقصاء**، ج ٢، ص١٨٢-١٨٤.

٢) الروم: ١-٤.

٣) ابن برجان، عبد السلام بن عبد الرحمن بن حمد اللخمي الإشبيلي (ت ٥٣٦هـ): **تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم المعروف بتفسير ابن برجان**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، ج٤، ص ٣٢٢-٣٢٦.

من أيدي الصليبيين، ونقل عنه قاضي دمشق (١) ابن الزكي (٢) مبشرًا بفتح بيت المقدس عندما امتدح صلاح الدين على فتح حلب (٣) عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م) في أبيات شعرية جاء في مطلعها:

وفتحكم حلب الشهباء في صفرٍ مبشر بفتوح القدس في رجبِ(٤)

وأيًّا كان الأمر تجاه حسابات ابن برجان من الاتفاق أو الاختلاف؛ فالشاهد هنا أن المجتمعات الإسلامية في المغرب والأندلس كان يسكن وجدانها بيت المقدس، وتتطلع إلى تحريره. لذا لم يكن ارتحال الفقيه الغوث أبو مدين شعيب بن الحسن التلمساني (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م) الأندلسي الأصل، الذي عاش في فاس ورحل إلى تلمسان بعدها ثم إلى بيت المقدس ليشارك في الجهاد ضد الصليبيين مع عدد من تلاميذه الذين كان يستنفرهم للقتال ، إلا ترجمة لتلك المواثيق الدينية والوشائج الأخوية ، فسجل لهم التاريخ جهاد ثلة من أهل المغرب والأندلس في فتح بيت المقدس بقياد أبو مدين التلمساني (٥).

أبدى المجتمع المغربي والأندلسي سروره بالفتح الصلاحي، وكان الشعر بمنزلة المادة الإعلامية التي تعبر عن كينونة وجدانهم، فتعالت الأصوات بقصائد البهجة والمدح، وجادت قريحة ابن جبير (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) بأبيات شعرية مدح بها السلطان صلاح الدين وهنأه فيها بفتح بيت المقدس في ديوانه المسمى (نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان)، وفي ديوانه الآخر (نتيجة الجوانح في تأبين

---

١) دمشق: مدينة من أشهر مدن الشام، اشتهرت بكثرة الأنهار، أرض مستوية تحيط بها الجبال الشاهقة كجبل قاسيون، فيها آثار الأنبياء والصالحين وحضارات قديمة، فتحها المسلمون عام ١٤هـ، من أشهر معالمها الجامع الأموي، كانت مركز إشعاع للحضارات القديمة والإسلامية. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج ٢، ص ٤٦٣-٤٦٨.

٢) ابن الزكي: هو محيي الدين محمد بن علي بن يحيى بن الزكي القرشي، ولد عام (٥٥٠هـ) كان أبوه وجده قاضيين، عرف بأمانته العلمية وفضله، درّس في المدرسة النورية وكان ينهى طلابه عن الاشتغال بالمنطق وعلم الكلام، كان قاضي دمشق ثم قاضي لحلب وطلب من صلاح الدين ألقى أول خطبه في المسجد الأقصى يوم الجمعة وهي خطب التحرير، توفي عام (٥٩٨هـ). انظر: الذهبي، **سير**، ج٢١، ص ٣٥٩-٣٦٠.

٣) حلب: مدينة في الشمال الشرق من بلاد الشام واسعة كثيرة الخيرات يزرع فيها القطن والسمسم والدخن والتفاح وغيرها، كثيرة الأمطار، كانت مركزًا سياسيًّا وحضاريًّا لكثير من الحضارات. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٢٨٢-٢٨٥.

٤) ابن خلكان، **وفيات**، الذهبي، **سير**، ج ٢١، ص ٣٥٩-٣٦٠.

٥) المقري ، **نفح** ، ج٧، ص ١٣٦-١٣٨

القرين الصالح) وهذان الديوانان مفقودان، ووجد منهما مقتطفات لقصائده في بعض المصادر(١)، ومنها قوله:

أطلّت على أفقـــــك الزاهرِ سعود من الفـلك الدائـــرِ
فأبشـــر فإن رقاب الـعـــــدا تُمد إلى سيفك البـــاترِ(٢)

وفيها:

ثأرت لدين الهدى في العدا فآثـــرك الله مـــن ثـــــائرِ
وقمت بنصـــــر إله الورى فـسـمـاك بالـمـلـك الـنـاصرِ
فتحت المقدّس من أرضهِ فـعادت إلى وصـــفها الطاهرِ
وأعليت فيه منار الهـــدى وأحييـــــت من رسمه الدائرِ (٣)

وتقطع (فردوس العمري) أن ابن جبير لم يكن يمدح من أجل الكسب كما كان معروفًا عند العرب؛ إذ كانت وسيلة القوت والرزق لكثير من الشعراء، وإنما يأتي مدح ابن جبير ناتجًا عن إعجاب صادق بالممدوح، أو بما قام به من عمل حسن (٤).

وفي خضم هذه الفرحة العارمة، يحذر ابن جبير في أبيات شعرية من الخطر الذي ما زال جاثمًا وقريبًا من الشام وبيت المقدس، حتى بعد الفتح الصلاحي، فإن مراقبة رحالتنا للأحداث وعدم استسلام الصليبيين للهزيمة وتجهيزهم لحملة صليبية جديدة جعلته يتوجس خيفة، وهذا ما استوجب عليه في ما رأى أن يسطر شعرًا قائلًا:

بني الإسلام جدوا في الجهادِ بسمر الخط والبيض الحـــدادِ

---

١) منجد مصطفى بهجت، **ديوان الرحالة ان جبير الأندلسي** ، (الرياض : دار اليمامة ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص ٦٧.

٢) ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل** ،ج ٣، ٥٠٦-٥٠٧، المقري، **نفح**، ج ٢، ص ٣٨٣.

٣) ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل**، ج ٣، ص ٥٠٧.

٤) فردوس أحمد بت العمري، "**الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي شاعرًا**"، مجلة أقلام الهند مجلة فصلية إلكترونية محكمة، العدد الثالث، (أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٦م)، ص ٢٣.

وبيعوها فربكم اشتراهـــــــا نفوسًا تربحوها في العبـــــادِ

عدوكـــمُ بعقركـــمُ مقـــيمٌ ليســـتولي على ملك البـــلادِ

وبيت القدس يفرق كل يومٍ حذارًا أن يعود إلى الأعـــادي

وشارك أدباء الأندلس في مدح صلاح الدين مبدين غبطتهم بعمله الجليل، ومنهم الشاعر الأديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي الذي نظم قصيدة في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جاء فيها:

وفي صهوات المقربات وفي القنا حصون حمًى لا في هضاب المعاقلِ

ومنها:

ولا ملك يأتي كيوســـفَ آخرًا كما لم يجئ مثلٌ له في الأوائلِ (١)

وعلاوة على ذلك كان لأشهر علامة الأندلس الطبيب أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الجلياني الغساني (ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م) مصنفات شعرية وأدبية طرزها فيها الكثير بمدح صلاح الدين، والثناء على جهاده، وتصديه للصليبيين، والتبشير بفتوحاته، من تلك المصنفات ديوان (روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر) قبل فتح بيت المقدس وبعد الفتح لصد خطر العدوان الصليبي الذي يجول بأساطيله عباب البحر، فمن مبشراته بالفتح الصلاحي وأن أهمية فتحه كأهمية فتح مكة المكرمة والقضاء الشرك فيها قوله في قصيدة:

فشؤم فريق الشرك في الشام طائرٌ فقص جناحيه بأقصى القوى قصما

إذا صفرت من آل أصفرَ ساحة الْـ مقدّس ضاهت فتح أم القرى قدمـــا

فذا المسجد الأقصى وهمتك العـلا وعزمتك القصوى ورميتك الصـــــما

(١) المقري، **نفح**، ج ٢، ص ٩٩.

وليس كفتح القد منية قـــــادرٍ وما إن تلقاها سوى يوسفٍ جزمـــــا([1])

وعندما تم الفتح فاضت طبيعته الشعرية في الثناء على قائد الفتح قائلًا:

أحيا به الله مصرًا فهي ناشرةٌ وافتكها من عدو ما به قبلُ

كم للفرنج بها وردًا ومنتجعًا ونارهم حولها تذكو وتشتعلُ

فأطفأ الناصر المنصور جذوتهم وأدبروا بقلوب: شهمها وجلُ([2])

وكان السلطان صلاح الدين يحترم الجلياني ويجله، فاستضافه في مجلسه السلطاني مع كاتبه الوزير القاضي الفاضل([3]) (ت٥٩٥هـ/ ١٢٠٠م)، ففي ذات مرة أراد القاضي أن ينال من الجلياني ممازحًا بحضرة صلاح الدين فسأله: كم بين جليانة وغرناطة؟ فقال له: مثل ما بين بيسان وبيت المقدس؟([4]) ويعلق (أحد الباحثين) على هذه القصة فيذكر أن الموضوع في ظاهره جغرافي، وفي حقيقته حضاري، أراد القاضي الفاضل أن يقول للجلياني: أنت من قرية صغيرة، مغمور مثلها، فأجابه بمثل ما ألغز إليه، وأشار إلى نسبة القاضي الفاضل الذي هو من بيسان، وفرق بعيد بين بيسان وبيت المقدس([5])، وعمل طبيبًا في المارستان السلطاني في السفر والحضر أيام صلاح الدين وبعده حينما استقر في دمشق.

---

[1]) ابن الأبار، **التكملة** ، ج٣، ص١٢٩؛ أبو شامة ، **الروضتين** ، ج٣، ص ٤٠٣-٤٠٥؛ ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج٣، ص ٤٤٨-٤٥١

[2]) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٨١.

[3]) هو عبد الرحيم البيساني، ولد بعسقلان عام (٥٢٦هـ)، رحل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة ودرس الأدب البلاغة، صاحب صلاح الدين في جهاده وحملاته، وكان مستشارًا له وكاتبه الخاص لبلاغته وفصاحته، فشهد له بالحكمة وحسن الإدارة؛ إذ قال فيه: "لا تظنوا أني فتحت الأرض بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل"، اشتهر بزهده وتعبده، مات بعد ٧٠ عامًا من جهاد القلم والسيف. انظر: ابن خلكان، **وفيات**، ج٣، ص ١٦١-١٦٢.

[4]) ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) : **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق إبراهيم الأبياري ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، ص ١٠٨

[5]) محمد رضوان الداية، **من الأندلس إلى بيت المقدس (الأندلسيون في فلسطين وفي رحاب المسجد الأقصى)**، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١)، ص ٢١٥.

ومن آثار الفتح الصلاحي أن هاجر ورحل عدد من فقهاء الأندلس إلى القدس وعاشوا فيها إلى وفاتهم، وتقلدوا فيها مناصب مهمة، وضربوا جذورهم في الأرض، فكتبت لهم الأحباس والعكس، وأقام بعضهم أوقافًا؛ مثل أبي الحسن علي بن محمد بن جميل المعافري (ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م) الذي هاجر من مالقة بعد الفتح الصلاحي إلى القدس، فالتمس صلاح الدين إمام وخطيبًا، فأجمع عدد من العلماء الأفاضل على أنه لا أحق من ابن جميل المعافري؛ لما عرف بحسن صوته، وأعرفهم بالقراءات العشر، فعينه صلاح الدين وأوقف عليه دارًا وأرضًا وبستانًا، ولقب بالحاج المالقي(١)، ومن الأندلسيين الذين تولوا مشيخة المسجد الأقصى أبو بكر محمد بن أحمد البكري الشريشي المالكي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) وكان من أهل شريش، وعرض عليه القضاء لكنه رفض، ثم انتقل إلى دمشق وتوفي فيها برباط الملك الناصر(٢)، ولما رأى السلطان الأفضل بن صلاح الدين (٥٦٦-٦٢٢هـ/ ١١٧١-١٢٢٥م) كثرة عدد الأندلسيين والمغاربة، ومشاركتهم العلمية ومكانتهم أنشأ لهم حيًّا خاصًّا بهم منسوبًا إلى أصولهم المغربية، وموقوفة عليهم، وفيها سكنهم، وتعدُّ حارة المغاربة من أشهر حارات مدينة القدس، وتقع إلى الغرب من المسجد الأقصى، وسمي أحد أبواب المسجد الأقصى الثمانية (باب المغاربة) وهو نسبة إلى حارة المغاربة وجامعها(٣)، وكان للأهل الغرب الإسلامي إسهامات في الأوقاف على حارة المغاربة ومن أشهرها وقف قرية عين كارم ، التي أوقفها الغوث أبو مدين التلمساني (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م) ، وكتب على العين نص الوقف ومستحقيه " هذا **ما أوقفه الغوث أبو مدين ....على مجاهدي المغرب ومرابطي المغرب وطلبة المغرب وعلماء المغرب والحجاج المغاربة الزائرين العابرين** "(٤) .

الخاتمة:

---

١) ابن الأبار ، **التكملة** ، ج٣ ، ص٢٢٢

٢) المقري، **نفح**، ج٢، ص٦٢٧.

٣) الحنبلي ، عبدالرحمن بن محمد العليمي (ت ٩٢٨هـ) :**الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، تحقيق عدنان نباته ،(عمان : مكتبة دنديس ، د.ت) ، ج٢، ص ٤٦-٤٧

٤) المقري ، **نفح** ، ج ٧، ص ١٣٦-١٣٨

تبين من الدراسة أن خبر الفتح كان له نصيب وافر في وجدان مؤرخي الغرب الإسلامي وفي مصنفاتهم، فلم يكن سرد الخبر الذي تراوح بين الإطالة والإيجاز كافيًا، بل أظهر بعضهم احتفاءهم بهذا الخبر، في حين كان لبعضهم تحفظ على إبداء الفرحة نظرًا لقربه من السلطة الموحدية، ورغم رفض الأخيرة تقديم العون لصلاح الدين بأسطولها البحري بعد الفتح ضد العدوان الصليبي بسبب التوترات السياسية والمذهبية، فإن عمق الرابطة بين المشرق والمغرب جعلت أبناء المجتمع المغربي يتغنون بقصائد في مدح صلاح الدين، ويرحلون إلى بيت المقدس لزيارته أو الهجرة إليه.

وكشفت الدراسة أن هناك هجرات مغربية وأندلسية كثيرة إلى القدس، وحظوا بتقدير ورعاية من الدولة الأيوبية؛ لمكانتهم في العلم والجهاد حتى خصصوا لهم حيًّا على اسمهم يسمى (حي المغاربة) و(جامع المغاربة)، وأيضًا أطلق على أحد أبواب المسجد الأقصى باب المغاربة.

المصادر والمراجع:

١- ابن الآبار أبو عبد الله محمد القضاعي (٦٥٨هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عزت العطار الحسيني، (القاهرة – بغداد: مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى، ١٣٧٥/ ١٩٥٦م)

٢- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبد الله القاضي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)

٣- ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٤١هـ): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب وتاريخ مدينة فاس**، (الرباط: دار المنصور، ١٩٧٣م)

٤- الأصفهاني، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ): **حروب صلاح الدين فتح بيت المقدس المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي**، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)

٥- البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ) : **صحيح البخاري** ، تحقيق محمد بن زهير بن ناصر الناصر ، (دمشق : دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ)

٦- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد عبد الله اللواتي (ت٧٧٩هـ): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)

٧- البلوي، خالد عيسى (ت ٧٨٠هـ)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق المسماة رحلة البلوي**، تحقيق: الحسن السائح، (أبوظبي: المغرب: اللجنة المشتركة لصندوق إحياء التراث الإسلامي، د.ت)

٨- البيذق، أبو بكر بن علي الصـــنهاجي (ت ٥٥٩هـ): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧١م)

٩- ابن الخطيب، أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ): **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)

١٠- بن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت ٧٧٦هـ)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق: سيد كسروي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)،

١١- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت٦١٤هـ): **تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار المسماة رحلة ابن جبير**، (بيروت: دار صادر، دت)

١٢- الحميري ،شهاب الدين أبو عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ): **الروض المعطار في أخبار الأقطار** ، (بيروت : دار صادر ، د.ت)

١٣- ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، **مسند الإمام أحمد** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)

١٤- الحنبلي ، عبدالرحمن بن محمد العليمي (ت ٩٢٨هـ) :**الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، تحقيق عدنان نباته ،(عمان : مكتبة دنديس ، د.ت)

١٥- ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت ٨٠٨هـ): **العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون** ، (بيروت : دار القلم ، ١٩٨٤م)

١٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ): **المقدمة**، تحقيق: درويش الجويدي، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)

١٧- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (ت ٦٨١هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م)

١٨- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): **ســير أعلام النبلاء**، تحقيق: عواد معروف وميحي السرحان، (بيروت: مؤسسة السرحان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)

١٩- ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) : **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق إبراهيم الأبياري ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت)

٢٠- أبو شامة، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)

٢١- ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ): **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين شيال، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ/ ١٩٩٤م)

٢٢- ابن صاحب الصلاة أبو مروان عبدالملك بن محمد الباجي (ت ٥٩٤هـ): **المن بالإمامة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين** ، تحقيق عبدالهادي التازي ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٧م)

٢٣- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري (ت ٧٠٣هـ): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م)

٢٤- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ) **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)

٢٥- ابن عمر، أبو الحجاج يوسف بن عمر الأموي الإشبيلي (ت القرن ٧هـ/ ١٣م)، **نصوص من روايات كتاب تاريخ الموحدين أولاد عبد المؤمن بن علي الضائع**، جمع وتحقيق: أكرم حسين غضبان، مجلة آداب البصرة، العدد (٧١) ٢٠١٤م

٢٦- ابن القطان ، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (ت٦٧٠هـ): **نظم وترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود مكي، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٠م)**

٢٧- القلقشندي، أبو العباس أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م)

٢٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، (بيروت: مكتبة المعارف، د.ت)

٢٩- ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٦١هـ) ، **سنن ابن ماجه** ، (بيروت : دار إحياء الكتب العربية ، د.ت)

٣٠- محمد بن تقي الدين الأيوبي صاحب حماة (ت ٦١٧هـ): **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، (تحقيق: الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠١هـ)

٣١- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب والأندلس**، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)

٣٢- مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) : **صحيح مسلم** ، تحقيق فؤاد عبدالباقي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت)

٣٣- المقدسي ، المطهر بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ) : **البدء والتاريخ** ،(بورسعيد : مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت)

٣٤- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)

٣٥- المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: مصطفى زيادة، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٣٤م)

٣٦- مؤلف مجهول، **رسائل موحدية (مجموعة جديدة)**، تحقيق: أحمد عزاوي، (القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)

٣٧- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

٣٨- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): **لسان العرب**،(بيروت: دار صادر، د.ت)

٣٩- الناصري السلاوي، أحمد بن خالد (١٣١٤هـ): **الاستقصا في خبر دول المغرب الأقصا**، (الدار البيضاء ، دار الكتاب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)

٤٠- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ: **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (حلب: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)

٤١- ابن واصل، أبو عبد الله محمد بن سالم التميمي (ت ٦٩٧هـ): **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال و آخرون، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية والمطبعة الأميرية، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)

٤٢- الواقدي ، أبو عبدالله بن عمر (ت٢٠٧هـ): **فتوح الشام** ، (عمان : مكتبة المحتسب ، د.ت)

٤٣- ياقوت ، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ) : **معجم البلدان** ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)

٤٤- اليعقوبي ، أحمد ابن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ) ، **تاريخ اليعقوبي** ، (بيروت : د.م ، ١٩٨٠ م)

٤٥- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)

٤٦- رغد علي الزبون، **بيت المقدس في أدب الرحلات المغربية رحلة أنموذجًا**، مجلة العالمية الإسلامية للدراسات الإنسانية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، مج ٢٧

٤٧- رمضان إسحاق الزيان ، **روايات العهدة العمرية دراسة توثيقية ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسة الدراسات الإسلامية)** ، غزة ، مج ١٤ ، العدد الثاني يونيو (٢٠٠٦م) .

٤٨- زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م)

٤٩- خليل عثمانة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧-١٥١٦م)**، (د.م، د.ن، د.ت)،

٥٠- الحاج غيدي ومراد عريبي، **دور مؤرخي البلاط في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الدكتور بحي فارس بالمدية، (الجزائر، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥-٢٠١٦م)

٥١- عادل يحيى عبدالمنعم **خصائص الكتابة التاريخية المشاركة عند اثنين من مؤرخي البلاد الموحدي ابن صاحب الصلاة المتوفي أواخر المائة ٦هـ/ ١٢وابن القطان المتوفي منتصف ق ٧هـ/ ١٣م** " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الأول ، المجلد الأول ٢٠٢٠م)

٥٢- عبد المجيد جلوان، **هذه مراكش**، (القاهرة: مكتبة المغرب العربي، مطبعة الرسالة، ١٩٤٩م)

٥٣- علي جمعة محمد، **المكاييل والموازيين الشرعية**، (القاهرة: القدس للنشر والإعلان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)

٥٤- صفوان خلف التل، **آثار وتاريخ الحرم القدسي الشريف خلال العصر الأيوبي (٥٦٤-٦٤٨هـ/ ١١٦٥م)**، رسالة ماجستير غير منشورة (الأردن: الجامعة الأردنية، نيسان ٢٠٠٢م)

٥٥- فردوس أحمد بت العمري، "**الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي شاعرًا**"، مجلة أقلام الهند مجلة فصلية إلكترونية محكمة، العدد الثالث، (أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٦م)

٥٦- فهمي توفيق مقبل ، **إثبات حق العرب والمسلمين في القدس وفلسطين تاريخياً ودينياً ينفي ادعاء اليهود حقهم فيها** ، (الإسكندرية : المكتبة المصرية ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) .

٥٧- محمد رضوان الداية، من **الأندلس إلى بيت المقدس الأندلسيون في فلسطين و في رحاب المسجد الأقصى** (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١)، ص ٢

٥٨- محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ج٤، ١٦٨-١٧٢).

٥٩- محمد يوسف عمر عابد، **بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية مقارنة (٧٢٦-٧٥٠ هـ/ ١٣٢٦- ١٣٤٩م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، (مكة: ١٤٠٦هـ / ١٩٩٦ م)

٦٠- منجد مصطفى بهجت، **ديوان الرحالة ان جبير الأندلسي** ، (الرياض : دار اليمامة ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

٦١- نوال فرحان محمد الخالدي، **منهج ابن الخطيب التاريخي في كتابه أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)

62- (Setton,k.M, **A Histiry of the Crusade s** ,vol ,I,America,1458

63- . Dogler,(Franz) ed ,Regesten,3 vols ,Munich,Berlin 1924-32 ,

64- Brand,C.M,the Byzatine and Saladin ,vol 37,

65- Marshal Baldwin ,**the decline and fall of Jerusalem**,**in setton**,vol,I,